Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)
المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي (AAJSR)
EISSN: 2959-6505
Volume 1, Issue 2, April-June 2023, Page No: 153-177
Website: https://www.aajsr.com

جهود علماء الغرب الإسلامي في التصوف: الشيخ أحمد زروق ت 899هـ إنموذجاً

الناجي المرسلي*
باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، المملكة المغربية

Efforts of Western Islamic Scholars in Sufism, Sheikh Ahmed Zarouk 899 AH as A Model

Dr. Al-Naji Al-Morsli*
Researcher, Faculty of Arts and Human Sciences, University of Sultan Moulay Suleiman, Beni Mellal, Morocco

*Corresponding author	najielmorsli14@gmail.com	*المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2023-05-08	تاريخ القبول: 2023-04-29	تاريخ الاستلام: 2023-04-04

الملخص

في هذا البحث تم تسليط الضوء حول جهود العلامة الشيخ زروق في التصوف الذي يعتبر أحد الاعلام البارزين في الغرب الاسلامي خاصة في المغرب الإسلامي الكبير، والذي كانت له مشاركة كبيرة في شتى العلوم خاصة في علم التصوف، بحيث ترك تراثا مهما في هذا الفن، وصار على نهج سلفه في ذلك من أمثال ما زخر به المغرب الأقصى من أولياء صالحين مباركين منذ الفتح الإسلامي إلى الآن ومن الذين اشتهروا فيها بزهدهم وكراماتهم وتأطيرهم ونفعهم للأمة المغربية سيدي أحمد بن العريف الطنجي، والحافظ أبو علي الصدفي، وسيدي دراس بن إسماعيل الفاسي (ت357)، وسيدي بو غالب القصري ،وسيدي عبد الجليل القصري، و سيدي أبي شعيب الدكالي ت 561هـ صاحب أزمور، وسيدي علي بن إسماعيل بن حرزهم ت 559هـ، ومولاي أبو يعزى (بوعزة) أعجوبة القرن السادس ت 572هـ، وسيدي أبو مدين الغوث ت 594 هـ، والشيخ مولاي عبد السلام بن بشيش صاحب جبل العلم، الملقب بقطب المغرب الأقصى،- ت، (559- 626) وأبو الحسن الشاذلي ت، (593- 656هـ) وسيدي بوسلهام المصري المغربي، وسيدي أبو مدين الغوث، وسيدي أبي عبد الله الدقاق، وسيدي ابو العباس السبتي،، وسيدي الحاج موسى بن مشيش، وسيدي أبو محمد صالح الماجري، وسيدي أحمد بن عاشر الأندلسي السلاوي ، وغيرهم كثير نفعنا الله ببركاتهم آمين.

الكلمات المفتاحية: الصوفي، التصوف، والولي، والكرامة، الغرب الإسلامي، الشيخ زروق

Abstract

This research sheds light on the efforts of the scholar Sheikh Zarouk in Sufism, who is considered one of the prominent scholars in the Islamic West, especially in the Great Islamic Maghreb, and who had a great participation in various sciences, especially in the science of Sufism, so that he left an important legacy in this art, and became on the approach of his predecessor In this there are examples of the good and blessed saints of Al-Maghrib Al-Aqsa, since the Islamic conquest until now, and of those who were famous there for their asceticism, their dignities, their framing, and their benefit. And Sheikh Moulay Abd al-Salam ibn Bashish, the owner of Jabal al-Alam, nicknamed Qutb al-Maghrib al-Aqsa (559-626) and Abu al-Hasan al-Shazli (593-656 AH), and my master Abu Salham al-Masri al-Maghribi, and my master Abu Madin al-Ghawth, and

my master Abi Abdullah al-Daqqaq, and my master Abu Al-Abbas Al-Sabti, and my master Hajj Musa bin Meshish, and my master Abu Muhammad Salih Al-Majri, and my master Ahmed bin Asher Al-Andalusi Al-Salawi, and many others, may God benefit us with their blessings, Amen.

Keywords: Sufi, Sufism, The Wali, Dignity, The Islamic West, Sheikh Zarouk.

مقدمة

تعتبر بلاد المغرب الأقصى معقلا للعلماء والأولياء والصالحين وكبار الصوفية، الذين نهجوا نهج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واقتدوا به في تربيته وسلوكه.

وقد برز في هذه البلاد الطيبة المباركة ـ المغرب الأقصى ـ علماء وأولياء صالحون مباركون منذ الفتح الإسلامي إلى الآن، وسيبقى الخير والصلاح والتقوى والزهد في الأمة المحمدية إلى أن يرث الله الارض ومن عليها.

ومن الذين اشتهروا فيها بزهدهم وكراماتهم وتأطيرهم وتأليفهم بين قلوب الناس وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ونفعهم للأمة المغربية سيدي أحمد بن العريف الطنجي[1]) والحافظ أبو علي الصدفي[2]، وسيدي دراس بن إسماعيل الفاسي (ت357)[3]، وسيدي بو غالب القصري[4]،وسيدي عبد الجليل القصري[5]، و سيدي أبو شعيب الدكالي[6] ت(561هـ)صاحب أزمور، وسيدي علي بن إسماعيل بن حرزهم[7] ت 559هـ)ومولاي أبو يعزى[8](مولاي بوعزة) أعجوبة القرن السادس ت(572هـ) وسيدي

[1] ابن عريف الطنجي : كان ابن عريف هذا قارئا مجيدا محدثا صوفيا زاهدا ورعا ناسكا توفي شهيدا بمدينة مراكش عام 536 للهجرة. أنضر: المطرب من مشاهير أولياء المغرب

[2] الحسين الصدفي :هو الحسين بن محمد بن حيون السرقسطي المحدث الحافظ إمام عصره من أئمة الاندلس، كان عالما بالحديث ورجاله موصوفا بالدين والعفة والصدق، له رحلة واسعة للشرق وأقام ببغداد مدة حوالي خمس سنين من شيوخه ابن عبد البر وأبو الوليد الباجي وأبو بكر الطرطوشي ومن تلامذته القاضي عياض وابن بشكوال ت 452 للهجرة. المصدر السابق

[3] دراس بن إسماعيل الفاسي كان فقيها مالكيا له رحلة للديار الشرقية ودخل الأندلس مرارا مجاهدا وكان من الزهاد وعباد الله الصالحين ت عام 357 للهجرة بفاس، وقبره معروف خارج باب الفتوح.

[4] سيدي أبو غالب القصري : كان زاهدا ورعا أحد الأوتاد فقيه فاس وعالمها وهو من شيوخ أبي مدين الغوث قرأ جامع الترمذي وأيضا هو من شيوخ عبد الجليل القصري وهو من المعاصرين لأبي يعزى وسيدي علي بن حرازم ومولاي بوشعيب السارية ومولاي عبد القادر الجيلاني وسيدي أحمد الرفاعي وغيرهم ومن العلماء والصوفية الذين عاشوا أيام الدولتين المرابطية والموحدية، انظر المصدر السابق

[5] عبد الجليل القصري :هو عبد الجليل الأوسي الانصاري من كبار علماء المغرب في القرن السادس الهجري وكانت له مشاركة واسعة وتآليف كثيرة رائقة منها: مختصر شعب الإيمان في مجلدين نفيس يحتوي على فوائد وتحقيقات توجد منه نسخة بالخزانة الوطنية بالرباط وقد طبع مؤخرا صحب مولاي أبا يعزى وغيره كانت وفاته عام 608 للهجرة. انظر المصدر السابق.

[6] مولاي بوشعيب دفين آزمور من عمالة إقليم الجديدة بالمملكة المغربية، ولد بدكالة وتعلم القرءان الكريم وما يتعلق به من علوم شرعية ثم مارس تأديب الاطفال ثم ترك ذلك وانقطع للعبادة وظهرت له الاسرار وانتفع به الناس وهو من شيوخ أبي يعزى أعجوبة الزمان ومن تلامذته عبد الله بن ويكريس المشترائي الذي قال عنه ابن الخطيب في أنس الفقير إنه كان من أقران أبي جعفر أمغار، توفي عام561للهجرة.انظر المصدر السابق.

[7] إسماعيل بن حرزهم :من علماء فاس والصوفية المشاهير كان في أواخر دولة المرابطين وفي زمانه وقعت فتنة إحراق إحياء علوم الدين للإمام الغزالي وعاش في دولة الموحدين على ما يزيد اثنان وعشرون سنة توفي بفاس ودفن خارج باب الفتوح عام 559 للهجرة. انظر المصدر السابق.

[8] أبو يعزي يلنور: فهو أبو يعزى يلنور الهزميري الهسكوري الامام الرباني العارف بالله ذو الاحوال العجيبة والآيات الغريبة صاحب الشهرة والصيت بلغ المعالي في المعارف والمقامات مع أميته ولكنته وعجمة لسانه خدم نحوا من اربعين وليا لله تعالى كما حدث بذلك عن نفسه من أشهر شيوخه مولاي بوشعيب، كان قد أقام نفسه عنده مقام الخادمة فكان يطحن له ويعجن ويخبز ويسقي الماء بالليل فإذا جاء النهار تفرغ للعبادة في المسجد ذات يوم قالت زوجة أبي شعيب" ما رأيت كهذه المملوكة تعمل بالليل ولا تظهر بالنهار، فلما أخبرها زوجها أبو يعزى حلفت ألا يخدمها أبدا. توفى عام 572 للهجرة ودفن بجبل إيروجان المعروف بتاغيا من قبائل زيان قريبا من خريبكة من عمالة خنيفرة، انظر: المطرب من مشاهير أولياء المغرب. انظر المصدر السابق.

أبو مدين الغوث[9] ت 594 هـ، والشيخ مولاي عبد السلام بن بشيش صاحب جبل العلم[10]، الملقب بقطب المغرب الأقصى،ـ ت، (559- 626) وأبو الحسن الشاذلي ت، (593- 656هـ،) وسيدي بوسلهام[11] المصري المغربي، وسيدي أبي عبد الله الدقاق[12]، وسيدي أبو العباس السبتي[13]، وسيدي الحاج موسى بن مشيش، وسيدي أبو محمد صالح الماجري[14]، وسيدي أحمد بن عاشر الأندلسي السلاوي[15]، وسيدي

[9] أبو مدين الغوث الأندلسي من أحواز اشبيلية كان زاهدا ولما مات أبوه تكلف برعي الغنم، وكان يؤثر عليه استماع القرءان الكريم فأحبه ومال إليه فهدده أخوه بحربة لاشتغاله بالعبادة عن رعي الغنم فتلقى الضربة بعود فانكسر السيف أجزاء فتعجب أخوه من ذلك فقال له أخوه اذهب حيث شئت. ت عام 594 هـ، انظر: المصدر السابق.

[10] مولاي عبد السلام بن بشيش : العارف بالله الكبير والقطب الشهير شيخ مشايخ الصوفية وإمام أئمة الطريقة الشاذلية نسبه ينتهي إلى مولانا إدريس دفين زرهون بن مولانا عبد الكامل بن مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بن سيدنا ومولانا على ومولاتنا وسيدتنا للا فاطمة الزهراء بنت سيد العالمين عليم من ربهم جميعا الصلاة والسلام ت عام626هـ، انظر: المطرب من مشاهير أولياء المغرب.

[11] سيدي بوسلهام قال أبو الحسن اليوسي في المحاضرات ص 75 تحت عنوان قضاء الحاجات عند الصلحاء ما نصه وكان يحدثنا يعني الحاج أبا عبد الله محمد الدلائي عن أسلافه، أن ثلاثة من صلحاء المغرب قد جرب عندهم قضاء الحاجات: الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش، والشيخ أبو يعزي يلنور، والشيخ أبو سلهام غيرأنهم اختلفوا فالأول في أمور الاخرة، والثالث في أمور الدنيا، وأبو يعزى في الكل، نفعنا الله بهم وبأمثالهم...إلخ. انظر: المطرب من مشاهير أولياء المغرب.
والشيخ سيدي بوسلهام من مشاهير اولياء المغرب أصله من مصر وتوفي سنة نيف واربعين وثلاثمائة وضريحه على مصب البحيرة في البحر المحيط بينه وبين سوق أربعاء الغرب بإقليم القنيطرة نحو من 40 كيلو وهو مقصود للزيارة في أنحاء المغرب، وقد كان الأكابر يعتادون زيارته رضي الله تعالى عنه. انظر: المطرب من مشاهير أولياء المغرب.

[12] سيدي أبو عبد الله الدقاق هذا كان من أكابر الصوفية وكان يصرح بأنه ولي يتكلم بأشياء تنكر عليه، فذكر ذلك لابن عريف وأبي الحكم بن برجان فقالا: لا تنكروا عليه شيئا من أحواله وكان بعض جيرانه يحتقره، فنام ليلة فرأى في منامه شخصا فقال له : أرني وليا من الأولياء، وفي رواية رأى نبي الله عليه الصلاة والسلام فدفع له مفتاحا وقال له : ادخل هاهنا فكل بيت تفتحه تجد فيه وليا من الأولياء فدخل في دار كثيرة البيوت فجعل كلما فتح بابا وجد أبا عبد الله الدقاق فلما أصبح أتاه فابتدره أبو عبد الله قائلا: لو فتحت الأبواب كلها لوجدتني في كل بيتن وله أخبار وكرامات وكان يقول، أنا أول من أخذ عنه الشيخ أبو مدين. انظر: المطرب من مشاهير أولياء المغرب. انظر: المطرب من مشاهير أولياء المغرب.

[13] أبو العباس السبتي :عاصر دولة الموحدين كان عالما زاهدا عارفا بالله ذو كرامات باهرة ومناقب شهيرة وأحوال باهرة نزل مراكش ولد بمدينة سبتة عام 524 هـ، تابع دراسته العلمية ببلدته وهو أحد تلامذة القاضي عياض ومن شيوخه سيدي عبد الله الفخار دفين تطوان له احوال عجيبة في الزهد والورع وهو أحد رجالات مراكش السبعة والدعاء عند قبره مستجاب ولاسيما عند التصدق على الفقراء والمحتاجين وإلى الان مازال الحال على ما كان عليه في روضته من ازدحام الخلق عليها وقضاء حوائجهم ت عام 601 للهجرة انظر: المطرب من مشاهير أولياء المغرب.

[14] أبو محمد صالح الماكري :العارف بالله الواصل المتوكل على الله الزاهد والناسك المنقطع إلى ربه المتحقق بالعبودية الخالصة الحقة عاش أيام الموحدين و المرينيين عاصر مولاي عبد السلام بن بشيش ولد بمدينة فاس على ساحل المحيط الاطلسي سنة 550 للهجرة، وتعلم بها العلوم الشرعية ثم رحل إلى فاس ثم إلى الاسكندرية بمصر ومكث بها مدة عشرين سنة واتم دراسته هناك ثم رجع غلى المغرب بعلم غزير وثقافة واسعة وفي طريقه مر على بجاية وجالس أبا مدين الغوث وأخذ عنه طريق القوم مباشرة بعد أن كان أخذها بواسطة الجزولي سيدي عبد الرزاق. توفي رحمه الله بمدينة آسفي وبها دفن سنة 631 للهجرة وخلف ستة أولاد كلهم ذكور أشقاء أفاضل. انظر: المطرب من مشاهير أولياء المغرب.

[15] أبو العباس بن عاشر: الولي الصالح الزاهد الكبير نزيل سلا المغربية ودفينها كان من كبار العلماء العاملين زاهدا عن الدنيا ومنقطعا عنها اصله من شمنية الأندلس وولد بها ونشأ وتعلم القرءان وما يتعلق به من علوم ثم انتقل إلى الجزيرة الخضراء واشتغل بها في تعليم وتحفيظ القرءان الكريم ثم رحل للحج ثم رجع فنزل المغرب بفاس واقام بها مدة تم مكناس ثم استوطن سلا وقضى بها مدة يعلم القرءان وينسخ عمدة الأحكام ويبيعها، من أكبر تلامذته ابن عباد الرندي شارح الحكم العطائية كانت وفاته بسلا عام 765 للهجرة وهو مدفون بالمقبرة التاريخية المطلة على المحيط وضريحه مقصود للزيارة وقد زرته وأنا طفل صغير في عام 1993م. انظر: المطرب من مشاهير أولياء المغرب.

لامحمبن عباد الرندي[16] والإمام الجزولي [17](ت 870 هـ)، والشيخ أحمد زروق [18] البرنسي الفاسي ت 899هـ، والشيخ عبد العزيز التباع [19](ت 914 هـ)،وسيدي عبد الله الغزواني[20] ت 914هـ،والشيخ سيدي رحال البدالي[21] ت 950هـ،والشيخ سيدي عبد الواحد بن عاشر ت 1040 للهجرة، دفين فاس الذي ألف منظومته المباركة ـ المرشد المعين على الضروري من علوم الدين ـ وشاع صيتها شرقا وغربا وشمالا وجنوبًا، وعلى مستوى العالم أجمع حيث أشار لمرتكزات وثوابت المغرب العربي الكبير بقوله: " في عقد الأشعري وفقه مالك: وفي طريقة الجنيد السالك،
وغيرهم كثير وكما قال ابن قنفد[22] رحمه الله" إن أرض المغرب تنبت الأولياء كما تنبت الأرض الكلأ".

---

[16] ابن عباد الرندي: عالم صوفي كبير شارح الحكم العطائية ولد برندة من بلاد الأندلس، وبها نشأ وحفظ القرءان الكريم وهو ابن سبع سنين رحل إلى فاس وتلمسان وقرأ بهما العلوم الشرعية كان صديقا لسيدي أحمد بن عاشر من شيوخه ابو عبد الله الشريف التلمساني صاحب مفتاح الوصول ت عام 792 للهجرة بفاس ودفن داخل باب فتوح ترجم له سيدي احمد زروق في غير ما شرح من شروح الحكم وغيره من العلماء.

[17] محمد الجزولي :هو الولي الصالح أحد رجالات مراكش السبعة ولد ببلاد جزولة من سوس وبه تعلم القرءان الكريم وما يتعلق به من علوم ثم رحل إلى فاس وبقي بها مدة ولقي الشيخ العارف بالله سيدي أحمد زروق كان يحفظ المدونة في الفقه المالكي من مؤلفاته دلائل الخيرات في الصلاة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ الطريق عن سيدي عبد الله أمغار ودخل الخلوة ومكث بها اربعة عشر عاما له رحلات للحج ثم رجع إلى بلده آسفي واتخذه مقرا لسكناه ونصب له العداء أهلها ثم رجع إلى جزولة وبقي بها إلى ان توفي رحمه الله سنة 870 للهجرة، ثم نقل إلى مراكش بعد 77 عاما ودفن برياض العروس وعلى روضته مهابة وجلالة.

[18] الشيخ أحمد زروق :نسب إليه كلام أورده ابن عجيبة في شرح الابيات الثلاثة لأبي القاسم الجنيد وهو كالتالي: تشاجر الحق والباطل، فغلبه الباطل فقتله، فخاف أن يطلب به فأحرقه، فجاء أهله ففر منهم الباطل وجمعوا رماد الحق وجعلوه في المحابر وكتبوا به الكتب فمن أراد الحق في زماننا هذا فلا تجده إلا في الكتب.

[19] الشيخ أبو فارس سيدي عبد العزيز التباع دفين مراكش ت 914 للهجرة، كان يحترف مهنة الحرير اتبعه خلق كثير من الناس ولقب بالتباع درس بمراكش ووصفته كتب التراجم بالشيخ العالم، فقد صحب الامام الجزولي وورث حاله بزوايته بتفوغالت بالشياظمة قال عنه الكتاني في سلوة الأنفاس" وأما التباع فافعمت اقطار المغرب أنواره وملات صدور رجاله معارف هوأسراره كان في الامامة والجلالة ووصفه الجزولي بالكمياء لأنه خدمه مدة وهو أحد رجالات مراكش السبع نظمهم بعضهم في ابيات شعرية بقوله:

وسبعة من الرجال سكنوا: مراكش الحمراء وفيها دفنوا
عياضهم والصنهاجي والجزولي: عبد العزيز التباع والسهيلي
والسبتي والغزواني هؤلاء: سبعة رجال فخذهم بلا امتراء

[20] سيدي عبد الله الغزواني :أحد رجالات مراكش السبعة المعروف بمول القصور وهو سيدي عبد الله الغزواني له كتاب سماه كتاب النقطة الأزلية، فهو كتاب عظيم لا يفقهه إلا من أعطاه الله علما موهوبا ت عام 991هـ.

[21] الشيخ سيدي رحال البدالي دفين أنماي بزمران إقليم قلعة السراغنة،من الذين بلغوا منزلة في الولاية وهي مرتبة الأبدال كان مصلحا صالحا يصلح بين الناس صالح بين الاخوين السعديين بين أحمد الشيخ ومحمد الأعرج حارب البرتغال وكلف أبنائه لحراسة الشاطئ المغربي خاصة المحيط الاطلسي جهة الدار البيضاء وهناك آثار ومعالم تركها الشيخ هناك منها تكليفه لابنه للحراسه وهو سيدي آمحمد بن رحال دفين خميس سيدي امحمد بن رحال وأبناؤه، ومنهم أبناؤه سيدي البدوي وغيرهم من حفدته كسيدي رحال الشاطئ، أظهر الله على يديه كرامات كعبور نهر أم الربيع بعد أن كان ممتلأ وبعد أن حبس مع الأسد الضواري لتفترسه بصبصت له وخضعت،من شيوخه : الشيخ التباع ومن تلامذته : الشيخ السكتاني دفين سوس ومنهم أيضا سيدي أحمد بن موسى دفين سوس وسيدي أحمد العروسي دفين الساقية الحمراء توفي الشيخ بعد حياة مليئة بالجهاد والإصلاح والتضحية وشهد بجهادة وحركته الإصلاحية "لويس برونيل" قال لولا سيدي رحال وفقراؤه بجبل الحديد لما أصبح للمغرب وجود، فقد وقف ضد الاحتلال البرتغالي، أقام مراكز بدكالة للمجاهدين (الجبل الاخضر،وجبل الحديد، والعونات والشاطئ المعروف بشاطئ سيدي رحال بحيث كان يشرف على بعض هذه المراكز ابنه الشيخ محمد بن رحال دفين الشاوية نواحي سطات،توفي الشيخ عام 950للهجرة.

[22] ابن قنفد القسطنطيني: ولد ابن قنفد بقسطنطينية عام 740 للهجرة،وكان والده من خطبائها وجده لأمه من المتصوفة المربين،جاء إلى المغرب الأقصى وقضى به حوالى عشرون (20)سنة حتى صار من علمائها المشاركين، قام بزيارة أولياء وقته(أبو مدين الغوث وأتباعه)أسندت إليه وظيفة القضاء بدكالة عام 769هـ، وهو ابن (29)أي بعد عشر سنوات بعد وصوله إلى المغرب، وفي سنة 763 للهجرة زار مدينة آسفي ووقف على قبر أبي محمد صالح الصوفي الشهير أحد الأقطاب الروحانيين الذين طبعوا الحياة الدينية المغربية بما كان له من التلاميذ والأتباع، زار مدينة سلا مرارا ووقف على ضريحها المشهور أبو العباس ابن عاشر ولازم دروسه وملاقاته إلى حين وفاته عام 765للهجرة، وبعد وفاته تردد على قبره لزيارته بسلا، عقد شبه مؤتمر بدكالة في شهر ربيع الاول سنة 769 للهجرة، حضر لمجالس أبي محمد الهسكوري بفاس سنة 770 للهجرة،رجع إلى بلده عام 770 للهجرة وفي أثناء عودته زار أبا مدين الغوث بتلمسان وفي بلده قسطنطينية تولى خطة الخطابة والإفتاء والقضاء،من مؤلفاته المشهورة أنس الفقير وعز الحقير،ويزيد عليها (في رجال أهل التصوف أبي مدين وأصحابه.) انظر ترجمته في كتابه هذا الذي قام بنشره وتصحيحه المركز الجامعي للبحث العلمي، سلسلة الرحلات زيارية، جامعة محمد الخامس بالرباط، اعتنى به محمد الفاسي رئيس الجامعة، وأدلوف فور أستاذ بكلية الآداب سابقا.

وفي بحثي هذا ـ إن شاء الله ـ سأتحدث عن متصوف كبير جمع بين الفقه والتصوف فهو من رواد الطريقة الشاذلية في وقته فهو المعتمد وهو محتسب الصوفية وقد قال في حقه الشيخ أحمد بابا التنبكتي[23]" الإمام العالم الفقيه المحدث الصوفي الولي الصالح والزاهد[24]، وقال أيضا فهو آخر الائمة الصوفية المحققين الجامعين لعلمي الحقيقة والشريعة[25].

وقد دفعني للبحث في هذا الموضوع لما لهؤلاء الشيوخ العظام من فضل علينا فهم شيوخ شيوخنا في التربية والسلوك ولما لهذا الشيخ الكبير من اصطلاحات لقوم الصوفية ومن تراث كبير من مؤلفات عديدة في مختلف الفنون والعلوم فينبغي أن نتحدث عنها ونبين منهج الشيخ فيها لنحيي ذكراه بذكر سيرته ومؤلفاته وشيوخه وتلامذته في هذه المجلة المنيفة.

وعلى كل حال فإن هذا البحث يلمس ويعالج قضية التصوف في القرن التاسع الهجري وسأتحدث عن علم من أعلام التصوف الكبار الذي قام بدور إصلاحي محليا (المغرب الاقصى) وجهويا (المغرب العربي الكبير) وعالميا (العالم الإسلامي) فقد درست مؤلفاته في مختلف المعاهد العلمية والجامعات الإسلامية وشرحت واستفيد منها قديما وحديثا.

وعليه: فالأولياء ـ يرجى منهم النفع أحياء وأمواتا قال سيدي أحمد زروق الذي نحن بصدد دراسة بعض من سيرته في كتابه "القواعد" على زيارة الأولياء والصالحين "كل من يجوز التبرك به في حياته يجوز التبرك به بعد موته".

أهمية الموضوع

دراسة أعلام التصوف ومناهجهم من المواضع المهمة التي ينبغي لطالب العلم أن يهتم بها خاصة طلاب العلوم الشرعية، لأن دراسة منهجه من كل الجوانب من جهة السلوك والتربية والعقيدة يكسب منه طالب العلم فوائد عدة منها:

- تصحيح لمفاهيم بعض الناس الذين لهم تصور خاطئ حول أرباب السلوك والتصوف.
- شرف علم التصوف وأهميته وسمو مرتبته.
- مكانة الشيخ أحمد زروق في بلاد المغرب الاقصى.
- إبراز مناهجه من خلال بعض مؤلفاته في العقيدة والتصوف.
- المساهمة في خدمة وإحياء التراث الإسلامي الذي يزخر به المغرب الأقصى.

خطة البحث

صغت هذا البحث في مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة على النحو التالي:

فبعد المقدمة تناولت في المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث: التصوف والصوفي والولي ففي المطلب الأول: أشرت إلى تعريف التصوف والصوفي والولي، وفي المطلب الثاني: أشرت إلى تعريف الكرامات، وفي المطلب الثالث: أشرت إلى العصر الذي عاشه الشيخ سيدي أحمد زروق (الدولة المرينية).

وتناولت في المبحث الثاني : التعريف بالشيخ سيدي أحمد زروق: اسمه ومولده نشأته حياته وشيوخه وتلامذته ووفاته، ففي المطلب الاول منه : تناولت اسمه ومولده ـ وفي المطلب الثاني :نشأته وحياته ـ وفي المطلب الثالث: شيوخه وتلامذته ووفاته ومؤلفاته ـ أما المطلب الرابع : آراء العلماء فيه ومناظراته وكراماته وفي المبحث الثالث: من كلامه على كتب القوم الصوفية وعلى تصوف كل فرقة من الناس وشطحاته:،،، فأما المطلب الأول: تناولت فيه كلامه على كتب القوم الصوفية وأما المطلب الثاني :تناولت كلامه على تصوف كل فرقة من الناس وشطحاته .

---

[23] أحمد بابا التنبكتي :هو أبو العباس أحمد بابا التنبكتي الفقيه المؤرخ توفي علم 1032 للهجرة، له مؤلفات عديدة منها نيل الابتهاج، والنكت الوافية بشرح الألفية، انظر: ترجمته في شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص: 298.

[24] نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي، ص: 130.

[25] المصدر السابق ص 134.

وفي المبحث الرابع: ذكرت طريقة الشيخ ووظيفته ونماذج من مناهجه من خلال بعض مصنفاته. أما المطلب الأول: تناولت طريقة الشيخ زروق ووظيفته. وفي المطلب الثاني: تناولت منهجه في التربية والسلوك وتصحيح الفكر الصوفي من خلال كتاب النصيحة الكافية.
أما المطلب الثالث: تناولت منهج الشيخ أحمد زروق في تصحيح الفكر الصوفي من خلال كتاب قواعد التصوف.
ثم خاتمة عرجت فيها على أهم الخلاصات والنتائج المتوصل إليها، ثم ذكرت أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث.
هذا وقد اجتهدت قدر الاستطاعة والإمكان لإخراج هذا البحث في هذه الحلة المتواضعة فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطاء فمن نفسي ومن الشيطان وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول: في تعريف مصطلحات، الصوفي، التصوف، والولي، والكرامة والعصر الذي عاش فيه الشيخ أحمد زروق

بما أننا سنتحدث في هذا الموضوع عن الصوفي الكبير سيدي أحمد زروق وأحواله فلابد من الإشارة لبيان مفهوم الصوفي، والتصوف، والولي، وما يتبع ذلك وحتى يتسنى للمتتبع ولطالب هذا العلم فهم هذه العناصر فهما دقيقا، وحتى تكون له قناعات للإيمان بهذه الغيبيات إيمانا راسخا.

المطلب الأول: في تعريف التصوف والصوفي والولي

فمصطلح الصوفي : فهذا المصطلح صوفي اختلف العلماء في تعريفه فقيل أنه من أسماء النسب إذا اتصلت به ياء النسب كالقرشي والمغربي، وقيل مشتق من الصفة [26]، لأن الصوفي تابع لهم في التحقق بما كانوا عليه من التجريد والانقطاع إلى الله تعالى وفيما أثبت الله تعالى لهم من الوصف حيث قال تعالى "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه[27]" وهذا القول اختاره كثير من القوم ورجال الطريق وقيل نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله عز وجل، لأن ذلك حالة الصوفي... وقيل نسبة إلى الصفوة : من خلق الله تعالى، لأن الصوفية هم القوم المختارون من سائر البشر وقيل نسبة إلى الصفاء أي صفاء القلب من غير الله بإخلاص العبودية والتجرد مما سواه ... وقيل نسبة إلى صوفة...
والصوفي عرفا "هو العارف بالله المتحقق بمقامات اليقين المتخلي عن الرذائل المتحلي بالفضائل".

أما التصوف: فقد عرفه الإمام الجنيد بقوله" هو استعمال كل خلق سني وترك كل خلق دنيء." وقال أبو الحسن الشاذلي "التصوف تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية وقال العارف بالله سيدي أحمد زروق في قواعده التصوف "علم قصد لإصلاح القلوب وإفرادها بالله تعالى عما سواه، وقال ابو العباس سيدي أحمد بن عجيبة في معراج التحقيق "التصوف هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل وأوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة، قال سيدي أحمد زروق وقد حد ورسم بوجوه تبلغ الألفين : قال ومرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه إذا أراد طالب العلم التوسع في هذا الفن فليقرأ تراجم "حلية الأولياء" فقد ذكر مؤلفها الحافظ أبو نعيم في ترجمة كل شخص ما قيل في التصوف .

وقال العلامة ابن خلدون في مقدمته: "وهذا العلم يعني التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة وكان ذلك هاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة[28].

---

[26] أهل الصفة جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسكنون الجنب الشمالي الشرقي من المسجد النبوي الشريف ولم يكن كن لهم أهل ولا مأوى وكانوا منقطعين لقراءة القرءان وعبادة الله وملازمة النبي والجهاد في سبيل الله.

[27] سورة الكهف الآية 38.

[28] المطرب بمشاهير أولياء المغرب ص 17.

إلى أن قال "وصار علم الشريعة على صنفين، صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات، وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدات ومحاسبة النفس عليها والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي منها من ذوق إلى ذوق، وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك.

فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقهم، فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس، ومنهم من كتب على الاقتداء في الأخذ والترك، وقال" وجمع الغزالي بين الأمرين في كتاب الإحياء فدون فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط، وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك[29].

وأما الولي: "فهو في الأصل وصف من الولاء والتوالي " ومن الولاية والتولي، ويطلق على القريب بالنسب وبالمكانة والصداقة، وعلى النصير وعلى المتولي للأمر والحكم وغير ذلك. ويطلق على الرب عز وجل كما يطلق على العباد، أما من جهة العرف الإسلامي فالولي خاص وعام، فالعام: يطلق على كل المؤمنين لأنهم ءامنوا به وناصبوا من كفر به العداوة والبغضاء، وكان هو وليهم فأيدهم وأمدهم بتأييده ونصره.

وبمناسبة ذكر كل المؤمنين بولاية الله تعالى نذكر هنا ما قاله سيدي محي الدين الحاتمي "وإياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله"[30].

_وأما الولي الخاص: فهو الداخل في الوصف القرآني الذي أشار إليه الله تعالى بقوله "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[31] الآية، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، وهم على مراتب متفاوتة ودرجات، حسب تحققهم بدرجات الاستقامة وإحرازهم على ما يمكن أن يصلوا إليه من الكماليات، وقد عرف لنا الإمام القشيري ـ رضي الله عنه ـ في رسالته الولي بهذا المعنى فقال: فإن قيل، فما معنى الولي؟ قيل أمرين، أحدهما أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقديم وغيرهما، فيكون معناه من توالت طاعته من غير تحلل معصية، ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح، وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان ويديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة، قال تعالى " وهو يتولى الصالحين[32]" اهـ.

تشبهوا بالرجال إن لم تكونوا مثلهم: إن التشبه بالرجـــال فلاح

ثم إن الولي بشر من جملة بني ءادم يجري عليه كل ما يطرأ على جنسه فهو يأكل ويشرب وينام ويتزوج، ويمرض ويموت ويعقل وينسى، ويجتهد ويخطئ ويصيب وتصيبه نوائب الدهر وبلايا الحياة، ويدعو فلا يستجاب له أحيانا، وقد يكون في أهله وأولاده الصالح والطالح، وقد يعصي ويخالف أحيانا لأنه ليس بمعصوم بل العصمة خاصة بالأنبياء وقد حكى غير واحد الإجماع على عدم العصمة الولي من الذنوب، نعم إذا صدر منه شيء لا يصر عليه بل يقلع عنه ويتوب من ساعته.

قال الشيخ أحمد زروق في القواعد رقم 210"وقد يكون للولي الزلة والزلات والهفوة والهفوات لعدم العصمة وعليه الأقدار " كما أشار إلى ذلك الإمام الجنيد رحمه الله.

وقال القشيري في الرسالة" رتبة الأولياء لا تبلغ رتبة الأنبياء". وعلى كل حال فالأولياء ليسوا بمحصورين في صنف واحد من الناس ولافي هيئة خاصة ولافي صفة ظاهرة ولا يكونون إلا عليها بل قد يكونون في جميع أصناف المسلمين : من علماء وفقهاء وأمراء، وقضاة، وتجار وفلاحين، وأصحاب المهن

---

[29] من كلام ابن خلدون في مقدمته ص 467 - 469.

[30] الفتوحات المكية ج 3- 448- 449.

[31] سورة يونس الآية 10.

[32] سورة الاعراف الآية 196.

والحرف وأهل الثروات ورغد العيش، وفيه العباد، والزهاد، والعقلاء السالكون، وأرباب الأحوال والمجاذيب الذي يسميهم بن عربي الحاتمي وتقي الدين عقلاء المجانين، ويوصف بعضهم بالأقطاب والأبدال والأوتاد، وغيرها من الأوسمة، وذلك اصطلاح منهم يعبرون بها عن أقوام بلغوا في الولاية مقامات عالية عزيزة، وقد جاء في السنة بعض هذه الأوسمة، ومن أصح ما جاء في ذلك حديث علي كرم الله وجهه أنه ذكر عنده أهل الشام، فقيل له: العنهم، فقال : لا، سمعت رسول الله يقول:" الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا، يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب"[33]

وفي الباب عن جماعة كثيرين جمعها الحافظ السيوطي في رسالة خاصة أسماها الخبر الدال، قال في أوله:" وبعد فقد بلغني عن بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عند السادات الأولياء من أن منهم أبدالا ونقباء ونجباء وأوتادا وأقطابا، وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك فجمعتها في هذا الجزء.... إلى آخر ما قال.

المطلب الثاني: تعريف الكرامات

الكرامات: وهي جمع الكرامة وفي اصطلاح أهل السنة "هي الأمر الخارق للعادة يظهره الله عز وجل على يد عبد مومن صالح غير مقرون بدعوى النبوة"، وهي حق وواقعة نطق بثبوتها القرءان الكريم وصحاح السنة، ووقع التعبد بتصديق وقوعها، والكرامة صدرت من ألوف الصالحين من لدن عصر الصحابة حتى يومنا هذا، بحيث يعد منكرها مكابرا من جهة ومبتدعا ضالا من جهة أخرى، ولموقعها من الإسلام ذكرها ائمتنا في كتب التوحيد والأصول، واحتجوا لها بأدلة نقلية وعقلية، وذكروا لها أنواعا وأمثلة وأصبحت من لوازم عقائد اهل السنة.

وقال الإمام القشيري في رسالته[34]،"ظهور الكرامات على الأولياء جائز إلى أن قال "وبالجملة فالقول بجواز ظهورها على الأولياء واجب، وعليه جمهور أهل المعرفة ولكثرة ما تواترت بأجناسها الأخبار والحكايات صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء في الجملة علمها قويا انتفى عنه الشكوك.

وقال إمام الحرمين[35] "فالذي صار عليه أهل الحق جواز انخراق العادات في حق الأولياء ".

وجاء في العقائد النسفية مع شرحها للسعد[36] "وكرامات الأولياء حق، فتظهر الكرامة على طريق نقض العادة للولي من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة وظهور الطعام والشراب واللباس عند الحاجة إليها، والمشي على الماء، والطيران في الهواء، وكلام الجمادات والعجماء وغير ذلك من الأشياء ...إلخ.

قال الشيخ اللقاني[37] رحمه الله"

وأثبتن للأولياء الكرامة ♦ ومن نفاها فانبذن كلامه

---

[33] رواه الامام احمد بسند صحيح 1- 112 مع انقطاع فيه.

[34] 4 - 146 - 151 في الرسالة القشيرية.

[35] كتاب الإرشاد لإمام الحرمين ص: 316.

[36] ص: 185 - 186.

[37] إبراهيم اللقاني : (- 1041 هـ) إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، أبو الإمداد، برهان الدين: فاضل متصوف مصري مالكي، نسبته إلى (لقانة) من البحيرة بمصر. توفي بقرب العقبة عائدا من الحج، له كتب منها (جوهرة التوحيد - ط) منظومة في العقائد، و (بهجة المحافل - خ) في التعريف برواة الشمائل، و (حاشية على مختصر خليل) فقه، و (نشر المآثر فيمن أدركتهم من علماء القرن العاشر) تراجم، لم يتمه، و (قضاة الوطر - خ) حاشية على العسقلاني في مصطلح الحديث انظر: الأعلام للزركلي 1- 28..

وقال السفاريني[38]" في عقيدة أهل الفرقة المرضية:

وكل خارق أتى عن صالح ♦ من تابع لشرعنا وناصح
فإنهـا من الكرامـات التي ♦ بهـا نقول فاقف للأدلـــــة
ومن نفاها من ذوي الضلال ♦ فقد أتى في ذلك بالمحال
لأنها شهيرة ولم تـزل ♦ في كل عصر يا شقا أهل الزلل

ونقول وأقوال الأئمة والعلماء في هذا كثيرة تخرج عن حد الحصر، ويدل لوقوعها في الإسلام أدلة كثيرة نجملها فيما يلي:
ـ قصة أصحاب الكهف ـ قصة مريم البتول (وكفلها زكريا ...) ـ قصة صاحب نبي الله سليمان (قال عفريت ...) ـ حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ـ حديث الراهب والغلام والساحر ـ أسيد بن حضير ورجل من الأنصار خرجا من عند رسول الله وبيد كل منهما عصا فأضاءت عصا الآخر فمشى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله.
فهذه وأمثالها وأضعافها كلها أصول وأدلة لإثبات الكرامات لا يمكن دفعها ولا ردها، وكل ما جاء فيها يصح أن يصدر من أي صالح وولي لله تعالى كما وقع عمليا في كل الأزمنة بحيث لا يمكن حصر ما جرى من الخوارق والكرامات.

فائدة:
يتساءل بعض الناس عن السر في صدور الكرامات بكثرة من غير الصحابة؟
والجواب عن ذلك، هو ما قاله الإمام أحمد وغيره:" أولئك كان إيمانهم قويا فما احتاجوا إلى زيادة يقوى بها إيمانهم، وغيرهم ضعف الإيمان في عصرهم فاحتيج إلى تقويته بإظهار الكرامات "، ذكره صاحب التاج في الطبقات واليافعي في النشر وغيرهما.

المطلب الثالث: العصر الذي عاشه الشيخ سيدي أحمد زروق (الدولة المرينية)
عاش الشيخ سيدي أحمد زروق أواخر الدولة المرينية وبداية عصر الدولة الوطاسية متنقلا بين أقطار المغرب العربي وبالخصوص بين أشهر مدنه: "فاس تلمسان، الجزائر، تونس، طرابلس .... حيث كانت تعتبر أكبر المراكز العلمية حينئذ".

الحياة الفكرية
فرغم الاضطرابات والفتن التي كان المغرب مسرحا لها أواخر الدولة المرينية وخلال الدولة الوطاسية.
إلا أن الحركة العلمية بقيت مشعة ويزداد نشاطها في مجالات الفكر والثقافة فازدهرت العلوم الإسلامية بها وبخاصة الفقه والتصوف وتقدمت الفنون والمعارف حتى أصبحت هناك نهضة علمية جبارة لم يعرفها المغرب قبل[39].
وسبب هذه الحركة العلمية يعود لأمور كثيرة من أهمها:" المنشآت والمكتبات "التي هي بمثابة الروح للجسد يرتوي منها العلماء وأيضا الفقهاء (الذين اشتهرت بهم بلاد المغرب عموما وفاس خصوصا، وإليكم بيان ذلك بشيء من التفصيل:

[38] محمد بن أحمد السفاريني: النابلسي الفقيه الإمام، الغرة في جبين الأيام، نحرير كامل، علامة فاضل، له تصانيف شهيرة منتشرة كثيرة، ودرس وأفتى، وأفاد، وله الفتاوى الكثيرة لو جمعت لكانت مجلدا وشرح ثلاثيات أحمد في مجلد ضخم، وكتب في السيرة، والحديث، والخصائص، يطول عدها، انظر أسماءها في "سلك الدرر" وله شعر رائق كله غرر من أبرز مؤلفاته " لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المرضية في عقد أهل الفرقة المرضية - ط) توفي سنة 1188 ثمان وثمانين ومائة وألف، انظر: الفكر السامي 2- 445.وانظر الأعلام للزركلي سلك الدرر "4/ 31".
[39] مظاهر الثقافة المغربية، محمد بن شقرون ص :131 دار الثقافة المغرب ط 11970

1. المنشآت العلمية: فمثلا فاس التي وصفها الشيخ بكونها:" دار علم ودين قديما وحديثا[40]،" تزخر بالمنشآت العلمية التي يتربى فيها الطلبة حيث ذكر المؤرخون أنها تزيد عن مأيتي مدرسة أولية، بل فيها حتى المدارس الداخلية التي يقيم فيها الطلاب.

قال الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي(الحسن بن محمد الوزان)[41] " علاوة على مائتي مدرسة أولية، ففي فاس إحدى عشر مدرسة داخلية يقيم فيها الطلاب الذين يفدون عليها من مختلف الآفاق[42] "، وعلى غرار هذه المدارس فيها الجامع الأعظم المعروف في الداخل والخارج وهو" جامع القرويين "حيث يصفه ليون الإفريقي فيقول " وبالمدينة مسجد أعظم يسمى جامع القرويين توجد بداخله وعلى طول جدرانه الأربعة سلسلة من الكراسي العلمية لمختلف الفنون يتصدرها الفقهاء والأساتذة لتثقيف الشعب والطلبة في شؤون الدين[43]" ولا يخفى أن إنشاء العديد من المدارس له الأثر البالغ في تخريج أجيال متشعبة بأنواع العلوم وشتى المعارف فضلا عما تؤديه المساجد والزوايا والرباطات من رسالتها التقليدية.

2. المكتبات العلمية: كانت فاس تزخر بالمكتبات العامرة، التي أغلبها كان ملحقا بالمساجد والمدارس والزوايا، ومع هذا اشتهرت بمكتبتين عظيمتين وقفيتين، فيهما كتب في شتى الفنون، ولا تحصى كثرة قال أبو الحسن[44] (علي بن ميمون) وهو يصف خزائن الكتب وطريقة المطالعة والاستفادة منها " وتأتي خزانة الكتب التي يطالع فيه طلبة العلم وفيها ما يحتاج إليه المشايخ كل واحد على ما يشتهي وذلك لأن فاس المذكورة فيه خزانتان مشهورتان، كل خزانة فيها كتب موقوفة على طلبة العلم للمطالعة كل يوم، والكتب كثيرة لا تكاد تحصى إلا بمشقة في كل فن من فنون العلم[45].

3. العلماء والفقهاء :كانت فاس آنذاك بها علماء كبار مشهورون بالعلم والدين قال أبو الحسن علي في وصفهم " ما رأيت مثله فاس ومثل علمائها في حفظ ظاهرة الشرع العزيز بالقول والفعل وغزير الحفظ لنصوص مذهبهم الإمام مالك، وحفظ سائر العلوم الظاهرة و الباطنة من الفقه والحديث والتفسير، وحفظ نصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب وعلم التوقيت، والتوحيد والمنطق والبيان وسائر العلوم العقلية، وكان العلماء والفقهاء قائمين بواجبهم من تثقيف الشعب، وتكوين الطلبة والاستعداد للتعليم، قال ليون الإفريقي " ولابد للأستاذ المشرف على هذه الدروس أن يكون مستوعبا للمادة التي وكلت إليه[46].

المبحث الثاني: في التعريف بالشيخ سيدي أحمد زروق: اسمه ومولده، نشأته وحياته، وشيوخه وتلامذته ووفاته.

المطلب الاول: اسمه ومولده

اسمه: - هو الشيخ أحمد زَرُّوق[47] ترجم له كثير من العلماء من أصحاب التراجم وكتب الصوفية وغيرهم فهو أشهر من نار على علم فقد ترجم له الزركلي بقوله "أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، أبو العباس، زروق[48]:

فقول المترجم "أحمد "ذكره هو عن نفسه أن اسمه أحمد كما ورد في منظومته " في عيوب النفس حيث قال:

---

[40] شرح رسالة ابن ابي زيد القيرواني لأحمد زروق ط 1402 ج 1 ص:5دار الفكر

[41] الحسن بن محمد الوزان، أبو علي، الغرناطي أصلا، الفاسي دارا، والمشهور بليون الإفريقي أو يوحنا الاسد الافريقي، اشتهر بتأليفه الجغرافي في عصر النهضة ومن أشهر مؤلفاته " وصف إفريقيا " انظر: الأعلام للزركلي 2- 218.

[42] وصف إفريقيا ليون الإفريقي (ترجمة محمد حجي، ص، 187 دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط 2، 1983م.

[43] المصدر السابق نفسه ص:187

[44] السفقاسي ابو الحسن علي بن ابي بكر بن ميمون السفاقسي الإمام العالم ت 1115 هـ، انظر: شجرة النور الزكية ص:320.

[45] جامع القرويين: لعبد الهادي التازي ج 2 ص:412 دار الكتب اللبنانية ط 1 - 1973.

[46] وصف إفريقيا لليون الافريقي المرجع السابق نفسه ص 187.

[47] الأعلام للزركلي 6- 176.

[48] أبو العباس أحمد زروق : هو ابو الفضل شهاب الدين أبو العباس سيدي أحمد بن سيدي أحمد بن سيدي محمد الخضار بن سيدي عيسى البرنوسي التفرنوثي البوري لورياكلي الفاسي منشأ ودارا وقرارا المشهور بزروق بحيث اعتاد تصدير كتبه بقوله "يقول المعترف بذنبه الراجي في كل حال عون ربه أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الدار،شهر بزروق اصلح الله حاله وزاويته اشتهرت بقبيلة البرانس بتيلوان والتي تقع على بعد ثلاثة أميال جنوب غرب باب المروج رحل إلى تلمسان.

" يقول راجي رحمة الغفار: أحمد بن أحمد الخضار[49]
ومن الذين ذكروا أن اسمه أحمد شيخه الإمام السخاوي والشيخ أعرف بتلميذه، وقال صاحب جذوة الاقتباس" وكان والده قد سماه محمدا فلما توفي سموه باسم أبيه أحمد[50]." والبرنسي أو البرسلي والصحيح هو البرنسي كما ورد في منظومته الآنفة الذكر (أرجوزة في عيوب النفس).
البرنسي الأصل ثم الفاسي: المشتهر زروق بين الناس
وقد ذكر صاحب جذوة الاقتباس البرنسي نسبة إلى البرانس قبيلة من البربر بين فاس وتازة، وبمجاورتهم قبائل لا تحصى من البربر[51].
ونسبت بزروق قال صاحب جذوة الاقتباس وإنما كان يقال له زروق لأن جده كان أزرق العينين[52].
مولده: ولد الشيخ عند طلوع الشمس من يوم الخميس الثامن والعشرين من محرم سنة ست واربعين وثمان مائة (846هـ) وقد اختلف في يوم ولادته والثابت هو يوم الثامن والعشرين، كما هو مقرر في نشأته كما نقله التنبكتي[53] وأيضا صاحب جذوة الاقتباس[54]

.

بعض تراجم العلماء له

فقد ترجم له كثير من المترجمين في طبقاتهم وأهل السير والتراجم منهم:

1. صاحب موسوعة الأعلام بقوله" أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسى، فقيه محدث صوفى، من أهل فاس بالمغرب، تفقه بها وقرأ بمصر والمدينة من كتبه: شرح مختصر خليل فى فقه المالكية، وشرح رسالة أبى زيد القيراونى والقواعد فى التصوف وغيرها، توفى في تكرين من أعمال طرابلس الغرب[55].
2. صاحب معجم المؤلفين بقوله " أحمد زروق (846 - 899 هـ) (1442 - 1493 م) أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرلسي، الفاسي، المالكي، الشهير بزروق (شهاب الدين أبو الفضل) صوفي، فقيه، محدث ولد بفاس في 28 المحرم، وتوفي في صفر بتكرين من عمل طرابلس الغرب[56].
3. صاحب المطرب من مشاهير أولياء أهل المغرب سيدي عبد الله التليدي ـ رحمه الله ـ بقوله "فهومن مشاهير الصوفية الكبار الذين كانوا في عصر المرينين سيدي أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسى الفاسي الشهير بزروق، الإمام العالم الفقيه المحدث الصوفي المتضلع المتبحر الولي الصالح العارف بالله، الحاج الرحلة ذو التصانيف العديدة والمناقب الحميدة والفوائد العتيدة ولد عام ثامن وعشرين من المحرم سنة ست وأربعين وثمانمائة (846) توفي والده وأمه داخل الأسبوع، لم يعق عنه بعد [57].

المطلب الثاني: نشأته وحياته

ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ نشأته وحياته في كنشأته التي اهتمت بسيرته الذاتية منذ ولادته إلى ما قبل وفاته، قال رحمه الله" ولما حضرت والدي الوفاة عهد بي لأمه وكانت مبذرة جدا، وأوصى بثلث ماله لمؤذني جامع الأندلس، قالت جدتي : فقلت يا ولدي ما هذا الذي صنعت، أوصيت بثلث فنقصته لهذا الولد... فقال ما أوصيته قدمته لموضع أنا أحوج فيه منه ... بنيت به قصرا في الجنة والباقي أوصي به لأمي، وولدي هذا توكلت به على الله، ثم نظر إلى وقال" أبشر يا ولدي استودعك الله، ثم مات ... ثم قال "فو الله ما انتفعت بماله في شيء معتبر.

---

[49] كتاب أحمد زروق والزروقية ص: 27 للأستاذ علي فهمي خيشم.
[50] جذوة الاقتباس لابن القاضي ص: 130.
[51] المصد السابق ص:130.
[52] المصدر السابق ص:130.
[53] نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ص :130.
[54] المصدر السابق ص: 130.
[55] موسوعة الأعلام 1- 258.
[56] معجم المؤلفين 1- 155.
[57] المطرب من مشاهير أولياء المغرب ص147.

ثم قال عن جدته " وعلمتني الصلاة وأمرتني بها وأنا ابن خمس سنين، كنت أصلي إذ ذاك، وأدخلتني الكتاب في هذا السن فكانت تعلمني التوحيد والتوكل والإيمان والديانة، بطريق عجيب وذلك أنها كانت في بعض الأيام تهيئ لي طعاما فإذا جئت من الكتاب للفطور تقول " ما عندي شيء ولكن الرزق في خزائن مولانا عز وجل اجلس نطلب الله، فتمد يديها وأمد يدي إلى السماء، داعيين ساعة، ثم نقول: انظر لعل الله جعل في أركان البيت شيء فإن الرزق خفي، فنقوم نفتش أنا وهي فإذا عثرت على ذلك يعظم فرحي به وبالله الذي فتح به فتقول : تعال نشكر الله قبل أن نأكل لأجل أن يزيدنا مولانا، فنمد أيدينا ونأخذ في الحمد والشكر له ساعة ثم نتناوله ونفعل ذلك مرة بعد مرة حتى قلت ...وقال " وكانت تحدثني بحكايات الصالحين، وأهل التوكل وغير ذلك من مغريات الإيمان، وقال " وكانت تحدثني بمعجزات النبي وغزواته وغرائب الكرامات والمنقطعين إلى الله تعالى ....

وهكذا نشأ الشيخ سيدي أحمد زروق وتربى في حجر جدته أم البنين الفقيهة، فكفلته وأدخلته المكتب، فحفظ القرءان الكريم وهو ابن عشر سنين، وقرأه على جماعة بحرف نافع، منهم الإمام القوري والزهوني والمجاصي وغيرهم ثم اشتغل الخرازة وذلك يوم عطلته الأسبوعية(الأرعاء عشية والخميس)، (كما قال عن نفسه "وحفظت القرءان وتعلمت صناعة الخرز[58] "ثم تركها واشتغل بالعلم بإرشاد بعض الأكابر فقرأ على الشيخ عبد الله الفخار والشيخ علي السبط وعبد الرحمن الثعالبي وإبراهيم التازي وحلولو والرصاع والسنوسي صاحب العقيدة وابن الدمير وآخرين من المشارقة، وقرأ البخاري كثيرا على القوري وتفقه عليه في أحكام عبد الحق الصغرى، وجامع الترمذي كما ذ كر هو نفسه (ثم نقلني الله بعد بلوغي السادس عشر إلى القراءة، فذكر أنه قرأ مجموعة من الكتب في مختلف المستويات والعلوم على كثير من أهل العلم .

وأخذ عنه أكابر عصره كالقسطلاني والحطاب الكبير وناصر الدين اللقاني والقطب الشعراني والعارف ابن الحسن البكري، وكان معاصرا للحافظ السيوطي ولا ندري هل التقيا أم لا، ولما قدم مصر وفد إليه العلماء والفضلاء، وقالوا: أنه كان يحضر درسه بالأزهر زهاء ستة آلاف (6000) شخص، غير أن هذا كان بلا شك في غير قدمته التي قدم فيها مصر نر متصوفا طالبا شيخ التربية.

وكان سيدي أحمد زروق ـ رضي الله عنه ـ قد توغل في التصوف وصحب جماعة من المشايخ وسلك الطريق وتزهد وتنسك وسلك سبيل المجاهدة والرياضة وانقطع لخدمة العارف أبي عبد الله سيدي محمد الزيتوني ثم تركه لحادث حصل بينهما أدى إلى امتحان سيدي أحمد زروق[59].

ثم هاجر مدينة فاس ودخل مصر فاتصل بالعارف سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي وكان قد بشر بقدومه اصحابه قبل مجيئه، فقال لهم قوموا تلتقوا أخاكم ولما اتصل بالشيخ أنزله بزاوية فضربه شيخه السابق الزيتوني من فاس ضربة هدمت عليه الزاوية وسلمه الله تعالى بواسطة شيخه الثاني الحضرمي، حيث إنه تلقى تلك الضربة حتى تكسرت يده واراها لسيدي أحمد زروق مكسورة، وبقي معه حتى فتح عليه أخر عمره وكان ـ رضي الله عنه ـ عالما محققا ورعا زاهدا شديد النكير على البدع، آية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقافا عند حدود العلم وأحكام الشرع وآدابه حتى قيل فيه : إنه محتسب الصوفية.

المطلب الثالث: شيوخه وتلامذته، ووفاته ومؤلفاته

أولا: شيوخ الشيخ سيدي أحمد زروق

تلقى الشيخ على جملة من الشيوخ الكبار الذين ظهروا في زمانه وكان اغلبهم مدرسا في جامع القرويين بفاس منهم:

- عبد الله بن محمد بن قاسم القوري[60] ت 872هـ.
- أحمد بن محمد الفشتالي.
- أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي ت 849هـ.

[58] نيل الابتهاج بتطوير الديباج لأحمد بابا التنبكتي ص: 130.
[59] انظر ترجمته مبسوطة في دوحة الناشر وغيرها من المراجع.
[60] نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ص: 130

- أبو العباس أحمد بن العجل الوزروالي ت 856هـ.
- أبو العباس أحمد بن سعيد المكناسي ثم الفاسي ت 870هـ.
- أبو الحسن علي بن أحمد بن منديل المغيلي ت 866.
- أبو زكريا يحيى صاحب الظهر ت 870هـ،
- ابو العباس أحمد بن علي بن صالح المعروف بالفلالي السجلماسي ت 860هـ.
- شهاب الدين الأبشيهي.
- أحمد بن سعيد الحباك ت 860هـ.
- أحمد بن محمد بن زكري ت 900هـ.
- أحمد بن عبد الرحمن البزليتي.
- ابراهيم الدميري ت 923هـ.
- أحمد بن عقبة الحضرمي.
- محمد الغماري التلمساني، ت874هـ.
- أحمد التونسي ت 878هـ،
- محمد بن علي السطي القلصادي ت 891هـ،
- أحمد الغوري.

ثانيًا: تلامذة الشيخ أحمد زروق

أخذ العلم على يد الشيخ زروق كثير من الطلبة خاصة بالأزهر الشريف بمصر والقرويين بفاس نذكر منهم:

- أبو العباس القسطلاني.
- الولي الشعراني.
- طاهر بن زيان القسطنطيني.
- طاهر بن زيات الزواوي المعروف بزروق الصغير.
- عبد الوهاب الزقاق ت 961هـ،
- شمس الدين اللقاني ت 953هـ،
- محمد بن عبد الرحمن الحطاب الرعيني
- أبو الحسن البكري المصري
- ناصر الدين اللقاني ت 958هـ،
- أبو عبد الله الخربوبي ت 963هـ.
- أبو عبد الله المفراوي
- أبو البركات ابن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن الحطاب الرعيني.
- ابو العباس أحمد بن يوسف الراشدي.
- أبو علي منصور بن أحمد البجائي.
- عبد الرحمن الفاسي ت 959هـ.
- عبد الوهاب الزقاق ت 961.

ثالثًا: مؤلفاته:

للشيخ سيدي أحمد زروق تآليف عديدة ذكرها كل من ترجم له فمنهم من ذكر بعضها ومنهم من ذكرها كلها، ومن تتبع ما ينسب إليه من التآليف، الدكتور علي فهمي خشيم في كتابه "أحمد زروق والزروقية "، وأطال الكلام عليها، وذكر ما كان مخطوطا منها ومكان المخطوط فليراجع وقد ظهر لي أن اذكر المطبوع منها في حدود علمي وبحثي:

- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني: وله عليه شرحان: شرح طبع مع شرح ناجي بمصر سابقا ثم اعيد طبعه بدار الفكر بيروت [61].
- شرح القرطبية[62] طبع بعنوان التقييد المفيد شرح أحمد زروق على القرطبية بتحقيق د، أحسن زقور دار ابن حزم سنة 2005م.
- شرح الوغليسية طبع بعنوانه شرح العلامة زروق على المقدمة الوغليسية (في العقيدة والفقه والتصوف) للشيخ العلامة ابي زيد عبد الرحمن الوغليسي الجزائري تقديم وتحقيق محفوظ بوكراع وعمار بسطة، دار ابن حزم، بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة 1431هـ، -2010م.
- شرح العقيدة القدسية للغزالي[63].
- شرح الحقائق والرقائق للمقري [64].
- قواعد في التصوف.
- شرح أسماء الله الحسنى، طبع بعنوان المقصد الاسما في شرح أسماء الله الحسنى تاليف أحمد بن أحمد البرنسي المغربي المشهور بزروق تحقيق محمود بيروتي 2004م.
- عدة المريد الصادق[65] .
- شرحان على حزب البحر الإمام الشاذلي[66].
- مناقب الحضرمي طبع بعنوان مناقب الحضرمي تاليف العارف بالله أحمد زروق دار الكز للنشر والتوزيع سنة 2009.
- إغاثة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين[67].
- كتاب الاعانة تأليف أحمد بن أحمد زروق البرنسي الفاسي تحقيق علي فهمي خشيم الدار العربية للكتاب 1979م
- جزء صغير في علم الحديث ـ 14شرح الحكم العطائية ـ 15 اصول الطريق
- فوائد من كناش.
- النصيحة الكافية.
- أرجوزة عيوب النفس.

ذكر أصحاب التراجم منهم الزركلي[68] أن له تصانيف كثيرة يميل فيها إلى الاختصار مع التحرير، وانفرد بجودة التصنيف في التصوف، من كتبه (شرح مختصر خليل) في فقه المالكية، و (النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية - ط) و (القواعد - ط) في التصوف، و (إعانة المتوجه المسكين، على طريق الفتح والتمكين - خ) وله عدة شروح للحكم العطائية، منها (شرح - خ) في خزانة الرباط (401 جلا) و (الحوادث والبدع - خ) رسالة، في أول المجموعة (1157 كت) في خزانة الرباط. و (الجنة، للمعتصم من البدع بالسنة) و (البدع التي يفعلها فقراء الصوفية) مائة فصل.

و ((الكناشة) و (رحلة) و (شرح رسالة أبي زيد القيرواني - ط) فقه وللشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، كتاب (الأنوار السنية على الوظيفة الزروقية - خ) وقعت لي منه نسخة مغربية متقنة، عرّف فيها زروق بأبي العباس (أحمد بن محمد ابن عيسى البرنوسي الفاسي الشاذلي) نسبة الى جده، باختصار أبيه أحمد.

---

[61] مصادر الفقه المالكي ص :24 بشير ضيف (دار ابن حزم بيروت لبنان ط 1، 1429
[62] نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ص:132 المصدر نفسه
[63] شجرة النور الزكية لمحمد بن مخلوف ص: 268.
[6464] شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف 268.
[65] شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص: 268.
[66] نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي مرجع سابق ص: 142.
[67] المرجع السابق نفسه ص: 101.
[68] المصدر السابق.

وذكر صاحب المطرب أن له[69] تآليف كثيرة ووسائل متعددة يميل فيها إلى الاختصار مع التحقيق والإفادة ولاسيما في التصوف وطريق السلوك، فله شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني مطبوع، مع ابن ناجي في مجلدين مهم جدا وشرح إرشاد بن عسكر، وشرح خليل، وشرح الوغليسية والقرطبية وشرح الحكم العطائية، وله فيها أكثر من عشرين شرحا طبع منها واحد وشرح حزبي البر والبحر للشاذلي وشرح نونية الششتري وله النصيحة الكافية والقواعد في التصوف مهم جدا، طبع مرتين وكتاب عدة المريد وله غير ذلك، وبالجملة فهو من أفراد علماء الصوفية رضي الله تعالى عنهم .

ذكر صاحب معجم المؤلفين مؤلفاته بقوله: من مؤلفاته: شرح الحكم العطائية، قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الاصول والفقه بالطريقة، اغتنام الفوائد في التنبيه على معاني قواعد العقائد للغزالي، شرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي، تأسيس القواعد والاصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في التصوف.

رابعا: وفاته: توفي الشيخ أحمد زروق في اليوم الثامن عشر (18) من شهر صفر الخير عام (899هـ) وهي آخر سنة من القرن التاسع الهجري وكان عمره أربعة وخمسون عاما (54) وترجم له صاحب موسوعة الأعلام بقوله" زروق توفى سنة 899 هجرية، وكل المترجمين له ذكروا أنه توفي في هذه السنة فعمر قليل وعمل كثير فرحمه الله ورضي عنه وارضاه.

المطلب الرابع: آراء العلماء فيه ورحلاته ومناظراته وكراماته:

عرف الشيخ بطلبه للعلم على كبار العلماء في عصره وبطول باعه في العلم وبالمشيخة عليه، وتتلمذ على يديه خلق كثير وشهد له بذلك الشيخ محمد بن محمد مخلوف بقوله " الشيخ الكامل الولي العارف بالله الواصل الصالح الزاهد الفاضل العالم شيخ الطريقة وإمام الحقيقة[70].

وقال في حقه محمد بن عسكر[71]" الشيخ العالم المحقق والمتصوف الولي العارف بالله وبأحكامه[72] وأضاف قائلا وعلى الجملة فهو إمام هدى وحجة من حجة الله تعالى وآية من آياته [73]".

وقال في حقه الشيخ أحمد بابا التنبكتي[74]" الإمام العالم الفقيه المحدث الصوفي الولي الصالح والزاهد[75].

وقال أيضا هو آخر الائمة الصوفية المحققين الجامعين لعلمي الحقيقة والشريعة[76].

وهكذا فقد ترجم له الطاهر بن أحمد الزاوي والحسن بن محمد بن القاسم وشيخه الزيتوني وغيرهم.

رحلاته:

كما هو عادة العلماء فقد رحل الشيخ رحلات كثيرة فكانت رحلته الأولى من فاس إلى تلمسان ورحلت الثانية كانت إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج ث الرحلة الثالثة كانت إلى تونس لطلب العلم والأخذ عن علمائها ورحلته الرابعة كانت إلى بجاية ورحلته الخامسة عاد إلى القاهرة ودرس على الإمام السخاوي وحصل منه على إجازة وأيضا من عدة شيوخ كالشيخ الديمي[77].

مناظراته

ظهرت على يديه كرامات كثيرة منها ما ذكره ابن عسكر الشفشاوني حيث قال "حدثني القاضي الفقيه أبو عبد الله الكرا س الأندلسي قال : لما قدم أحمد زروق على فاس قافلا من البلاد المشرقية خرج الفقهاء

---

[69] المطرب من مشاهير أولياء أولياء المغرب تأليف العلامة سيدي عبد الله التليدي دار الأمان الرباط ص: 159

[70] شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف ص :267.

[71] محمد بن علي بن الحسين بن مصباح الحسني المغربي الشفشاوني المعروف بابن عسكر مؤرخ مغربي صوفي.

[72] دوحة الناشر لمحمد بن عسكر الشفشاوني ص: 48.

[73] المصدر السابق ص: 51

[74] هو أبو العباس أحمد بابا التنبكتي الفقيه المؤرخ توفي علم 1032 للهجرة، له مؤلفات عديدة منها نيل الابتهاج، والنكت الوافية بشرح الألفية، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص: 298.

[75] نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ص: 130.

[76] المصدر السابق ص 134.

[77] ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والادب والسياسة ص 8 دار ابن حزم لبنان ط 1،1430

للقائه وكنت ضمن من خرج معهم فلما سلمنا عليه وجلسنا في خبائه وصار يسال الفقهاء عن سبب أقواتهم فقال بعضهم" معظم القوت من الأوقاف المحبسة على قبور الموتى، فقال الشيخ لاحول ولا قوة إلا بالله تعيشون من لحوم الميتة، فأجابه الفقيه بن الحباك[78] بأن قال يا سيدي الحمد لله الذي جعلنا نقتنصوا" كذا " من لحوم الميتة وهي مسوغة عند الضرورة، ولم يجعلنا نقتنصوا كذا من لحوم الأحياء فصاح الشيخ وخر مغشيا عليه، فخرجنا عنه وتركناه كذلك[79].

كراماته:

في ترجمة العلامة الزاهد ولي الله سيدي محمد المعروف بالحاج الشطيبي العارف السائح من دوحة الناشر لابن عسكر: قال فيه : "وجال كثيرا في البلاد المشرقية، ولما قدم من الشرق مر على ضريح سيدي أحمد زروق وحلف ألا يتصرف إلا بإذن من الله تعالى، فأقام نحوا من ثلاثة أعوام والشيخ يترءآ له في النوم ويأمره بالانصراف إلى المغرب فلم يعمل على رؤية النوم حتى رآه في اليقظة وهو مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له يا محمد إن النبي يأمرك بالانصراف إلى المغرب وإلا فتسلب فقال : نعم فلما أراد الانصراف قال له سيدي أحمد زروق تأخذنا وحشتك يا محمد، اهـ.

قال أبو الحسن بن محمد بن قاسم الفاسي في طبقات الشاذلية الكبرى" وله كرامات خارقة فمن كرماته أن قبيلة من قبائل عرب طرابلس كانوا قطاع طريق لا تمر بهم قافلة إلا نهبوها فمر عليهم مولانا ـ رضي الله عنه ـ فنهبوه هو وتلامذته حتى تركوهم مستوري العورة، فنظر بعض المريدين إلى مولانا فوجده لم يتغير فقال لبعض العربان الذين نهبوا مولانا : انظروا إلى ذلك الأستاذ، عنده ذهب في سرواله فجاء البدوي إلى مولانا وقال له "أنزع السروال فقال سبحان الله العورة يحرم علينا كشفها، فقال له مرة ثانية انزعه ومولانا يعظه بقوله العورة يحرم علينا كشفها، فتقدم البدوي إلى مولانا فقال مولانا للأرض ابلعيه يا أرض، فأخذتهم الأرض جميعا فصاروا يتضرعون إلى مولانا ويقولون تبنا إلى الله فقال مولانا للأرض "أطلقيهم يا أرض،" فأطلقتهم فخرجوا منها وتابوا جميعا، وصاروا مع مولانا لم يتخلف منهم أحد وصاروا خدام الزاوية الزروقية[80].

وذكر العلامة محمد بن عسكر" أن الشيخ بن غازي طلب أن يجيبه إلى منزله في جملة اصحابه واستأذنه أن يصنع لهم طعاما كثيرا، فأذن له في ذلك، وقال له : انتظرنا بعد صلاة العشاء الاخيرة، فلما جاء الوقت وقف الشيخ بن غازي بباب داره ينتظر القوم، إذ جاءه الشيخ أبو العباس وحده فقال ابن غازي يا سيدي وأين اصحابك فقد جعلنا طعاما كثيرا وخفنا من فساده، فقال يا سيدي زروق: يصلح إن شاء الله ولا يفسد، ثم قال له، هات ما عندك من طعام، فأمر بن غازي بإتيانه فقرب إليه فقال أبو العباس" وسع عنا هؤلاء الخدم حتى لا يبقى إلا أنا وأنت، فخرج الخدام وشمر عن ساعديه وصار يرفد الطعام بيديه جميعا ويجعل خلفه، ومع كل حفنة قطعة لحم فسمع الشيخ بن غازي ضجة وراء أبي العباس، فنظر فإذا بخلق كثير من ضعفاء وصبيان ونساء وكل واحد منهم يمد بيده ويقول يا سيدي أعطني، وهم في براح واسع، حتى قسم عليهم ذلك الطعام كله، فقال لابن غازي هل بقي من طعامك شيء، فقال لا سيدي فغسل يديه وحمد الله تعالى، فتعجب ابن غازي وقال له : يا سيدي هذه كرامة من كرامات الأولياء فقال له " أحمد الله الذي أراك إياها،" فقال ابن غازي:" اسألك بالله يا سيدي من أولئك الخلق وذلك البراح هو صحن مسجد الزيتونة[81].

وفي دوحة الناشر أيضا ما مضمنه "أن ابن غازي استدعى الشيخ واصحابه ليتناولوا عنده طعام العشاء، فلما جاء الوقت قدم الشيخ وحده فساله ابن غازي عن الجماعة وأخبره بأن الطعام كثير وسيفسد، فأجابه الشيخ يصلح إن شاء الله تعالى ولا يفسد، ثم قال له هات ما عندك من الطعام فجعل يناوله قصعة بعد

---

[78] أبو العباس المكناسي :ابو العباس أحمد بن سعيد الملقب بالحباك المكناسي ثم الفاسي فقيهها وخطيبها كان آية في النبل والإدراك ولد سنة 804 للهجرة وتوفي في سنة 870 للهجرة من تآليفه نظم مسائل بن جماعة في البيوع انظر: شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف ص: 264.

[79] دوحة الناشر لابن عسكر الشفشاوني ص: 50، 51

[80] طبقات الشاذلية الكبرى للحسن بن محمد الفاسي ص: 118- 119.

[81] دوحة الناشر لابن عسكر الشفشاوني ص:50 - 51

أخرى وهو يدفع ذلك لعوام من الناس رآهم ابن غازي في براح واسع ولهم ضجيج وهم ما بين رجال ونساء وصبيان، فلما نفد الطعام قال له هل بقي من طعامك شيء قال لا فساله عن أولئك فقال إنهم ضعفاء مدينة تونس مستهم الحاجة وذلك البراح هو صحن مسجد عن جامع الزيتونة وقال له ابن غازي هذه من كرامات الاولياء، فقال له الشيخ أحمد الله الذي أراك إياها، توفي الشيخ سيدي أحمد زروق ـ رضي الله ـ تعالى عنه بقرية مصراته من ليبيا سنة (899هـ) فرحمه الله وإيانا رحمة واسعة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

وهكذا فقد شهد له الكثير من شيوخه وأهل عصره بالشهادة الحق في العلم والولاية والصلاح منهم شيخه الزيتوني فقد قال عنه" أنه رأس السبعة الأبدال"[82].

المبحث الثالث: من كلامه على كتب القوم الصوفية وعلى تصوف كل فرقة من الناس وشطحاته:

المطلب الأول: كلامه على كتب القوم الصوفية:

ترجم للشيخ جماعة كثيرون وأطالوا في تراجمه ونقلوا عنه من ذلك قوله:" طفت مشارق الارض ومغاربها في طلب الحق واستعملت جميع الأسباب المذكورة في معالجة النفس بقدر الإمكان في مرضاة الحق، فما طلبت قرب الحق بشيء إلا كان مبعدي ولا عملت في معالجتها بشيء إلا كان معينا لها، ولا توجهت لإرضاء الحق إلا كان غير موف بالمقصود، ففزعت إلى اللجوء إليه عز وجل في الجميع فخرجت بفضل ذلك علة رؤية الأسباب ففزعت إلى الاستسلام فخرج لي منه رؤية وجودي وهو رأس العلل، فطرحت نفسي بين يدي الحق سبحانه طرحا لا يصحبه حول ولا قوة فصح عندي أن السلامة من كل شيء بالتبري من كل شيء والغنية من كل شيء بالرجوع إلى الله في كل شيء اعتبارا بالحكمة والقدوة وقياما مع الطباع بشواهد الانطباع ولما يرد منه تعالى أمرا ونهيا وخير وقهرا وعبودية ولا تصحبها رؤية ورؤية لا يصحبها اعتماد واتساعا لا يصحبه ضيق وضيقا لا يصحبه اتساع متمثلا في ذلك في قول القائل:

قد كنت أحسب أن وصلك يشترى ♦ بنفائس الأموال الارباح
وظننت جهلا ان حبـك هيـن ♦ تفنى عليه كـرائـم الارواح
حتى رأيتك تجتبى وتخص من ♦ تختاره بلطـائف الأمنـاح
فعلمت أنك لا تنال بحيلة ♦ فلويت رأسي تحت طي جناحـي
وجعلت في عش الغرام إقامتي ♦ فيه غدوي دائما ورواحي

كلامه على كتب القوم الصوفية:

قال في بعض شروحه للحكم كتب القوم تحتوي على أربعة أنواع:

التذكير والوعظ وهو حظ العوام، وللخواص منه نصيب، ومواده من كتب ابن الجوزي وبعض تعاليق المحاسبي وشيء من كتب الأحياء والقوت وتحبير القشيري وما جرى مجراها، والكلام في الأحكام، أي أحكام تصفية الأعمال وتصحيح الأحوال من واجب وسنة ومندوب وآداب ظاهرا وباطنا وهو حق المتوجهين من كل فريق وبكل طريق، ومواده من كتب الغزالي والسهرودي ونحوهما، والكلام على الأحوال، أي تحقيقها وتحقيق المقامات والأذواق والمنازلات، وهو نصيب المريدين وربما كان تنبيها أو تشويقا لغيرهم، ومواده من كتب الحاتمي في المعاملات والبوني في المنازلات ونحوهما.

وفي رسالة القشيري مواضع من ذلك، وفي الجميع مهاوي فاحذروها لصوبة فهمها، والكلام على الحقائق، أي المعارف والعلوم الإلهية وهو نصيب العارفين المحققين وكتاب الحكم لابن عطاء الله محتو على الأطراف الأربعة لاسيما الأخيرين منها فهو جامع لما في كتب الصوفية المطولة والمختصرة مع زيادة البيان واختصار الألفاظ اهـ،

وقد قدمنا كلامه على بعض كتب القوم المحتوية على المقفلات والحقائق فراجعها مما سبق في ترجمتي الششتري والحاتمي.

[82] المرجع السابق ص: 134.

المطلب الثاني: كلامه على تصوف كل فرقة من الناس وشطحاته:

تعرض في قواعده [83]على تصوف كل طائفة من طبقات المسلمين فأفاد وأجاد، فقال في قاعدة(59) تعدد وجوه الحسن يقضي بتعدد الاستحسان وحصول الحسن لكل مستحسن فمن ثم كان لكل فريق طريق، فللعامي تصوف حوته كتب المحاسبي، ومن نحا نحوه، وللفقيه تصوف رامه ابن الحاج في مدخله، وللمحدث تصوف حام حوله ابن العربي في سراجه، وللعابد تصوف دار عليه الغزالي في منهاجه، وللتمريض تصوف نبه عليه القشيري في رسالته، وللناسك تصوف حواه القوت والإحياء وللحكيم تصوف أدخله الحاتمي في كتبه، وللمنطقي تصوف نحا إليه ابن سبعين في تآلفيه، وللطبائعي تصوف جاء به البوني في أسراره، وللأصولي تصوف قام به الشاذلي بتحقيقه، فليعتبر كل بأصله من محله .

وهذا تحقيق رائق يدل على عظمة هذا الرجل وتضلعه في العلوم وغوصه على استخراج الحقائق وتفوقه على غيره في ذلك فهو بحق محتسب الصوفية كما قالوا عنه.

من شطحاته في التصوف

ومما نسب إليه في نيل الابتهاج هذه الأبيات التالية:

قد هجرت الخلق طرا بأسرهم ♦ لعلـــي أرى محبوب قلبـي بمقلتـــي
وخلفت أصحابي وأهلي وجيرتي ♦ ويتمت نجلي واعتزلت عشيرتـــي
ووجهت وجهي للذي فطر السماء ♦ وأعرضت عن أفلاكها المستنيرة
وعلقت قلبي بالمعالـــي تهممـــا♦ وكوشفت بالتحقيـق عن غيـر مريـــة
وقلدت سيف العز في مجمع الوغا ♦ وصرت إمام الوقت صاحب رفعة
وملكت أرض الغرب طرا بأسرها ♦ وكل بلاد الشرق في طي قبضتي
فملكنيها بعض مـن كـــتان عـارفا ♦ وخلفنـي فيهـــا أحسن سيـرتـي
فـــارفع قدرا ثـــم أخفض رتبـة ♦ لأرفـع مقـدارا بأرفـــع حكمتـــي
وأعزل قوما ثم اولي سواهم ♦ وأعلـي منـار البعض فـــوق المنصة
وأجبـــر مكســـورا وأشهـر خامـلا ♦ وأرفـع مقدارا بأرفـع همتـي
وأقهر جبارا وأدحض ظالمـا ♦ وأنصر مظلومـا بسلطـان سطوتـــي
وألهمت أسرارا وأعطيت حكمة ♦ وحزت مقامات العـلا المستنيـــرة
أنـا لمـــريدي جـامع لشتاتـه ♦ إذا ماسطـا جـورالزمـان بنكســة
وغذا كنت في كرب وضي ووحشة ♦ فنـادى أيا زروق آت بسرعـــة
فكم كربة تجلى بمكنـون عزنا ♦ وكـم طرفة تجنى بأفراد صحبتـــي

وهذه القصيدة تدل على أنه كان على قدم عظيم في التمكين والتصريف وهي تنادي منه أنه كان من أكابر اهل الدوائر وقد نقلوا عن شيخه الأول الزيتوني أنه قال فيه "إنه رأى السبعة الابدال نفعنا الله تعالى به آمين نغير أن هذا لعله كان في أخريات أمره لما ذكره ابو العباس ابن عجيبة في شرح النونية حيث قال " فقد كان شيخ من شيوخنا سيدي علي العمراني رضي الله تعالى عنه يقول " ما فتح على الشيخ زروق إلا في آخر عمره أي بحيث لم يؤلف شيئا بعد الفتح، والله أعلم قال " وكتبه شاهدة بذلك إذ الكلام وصف المتكلم ومن تكلم عرف من ساعته، فهو في علوم الطريقة إمام، وأما في علوم الحقيقة واسرار الأذواق فلم ينل منها شيئا غلا في آخر عمره ن كاد أن يخرج منها صفر اليدين ن ولذلك كثر اعتراضه على أهل النسبة وظهر في كلامه التشديد والتضييق عليهم، ثم ذكر رؤيا رآها عليه فقال : وكان بعض مشايخنا من الفقهاء يقول " الشيخ زروق محتسب الصوفية فعلق عليه ابن عجيبة بقوله "قلت إنما يكون محتسب صوفية اهل الظاهر واهل العبادة الظاهرة والتنسك الظاهر أما اهل التربية والسر الباطن فلا حسبة له عليهم، إذ

[83] قواعد التصوف للشيخ زروق القاعدة 19.

لم يحظ علما بما عندهم، ولقد سمعت شيخ مشايخ التربية في زمانه مولاي العربي الدرقاوي ال احسني رضي الله عنه يقول " الشيخ زروق عند أهل الظاهر شيء كبير وعند اهل الباطن شيء صغير، لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا العبادة إلا من يعانيه ان الأولياء كطبقات الجنان الاعلى يعرف الأسفل دون العكس ...اهـ،

المبحث الرابع في طريقته ووظيفته ونماذج من مناهجه من خلال بعض مصنفاته

المطلب الأول: طريقة الشيخ زروق ووظيفته

طريقته (الزروقية) وكان جامعا بين الطريقة الشاذلية والقادرية التي كانت منتشرة في المغرب العربي وخاصة ليبيا، بناها على خمسة أشياء:

1ـ تقوى الله في السر والعلانية 2ـ اتباع السنة في الاقوال والافعال 3ـ الإعراض عن الخلق في الاقبال والإدبار 4ـ والرضا عن الله في القليل والكثير، 5 ـ والرجوع إلى الله في السراء والضراء

وتحقيق اتباع السنة بالتحفظ وحسن الخلق، وتحقيق الاعراض عن الخلق بالصبر والتوكل، وتحقيق الرضا عن الله بالقناعة والتفويض، وتحقيق الرجوع إلى الله بالحمد والشكر، واللجوء الى الله في السراء والضراء، وقال وأصول ذلك كله خمسة:

1ـ علو الهمة 2ـ وحفظ الحرمة 3ـ وحسن الخدمة 4ـ ونفوذ العزيمة 5ـ وتعظيم النعمة، وهذه الأسس والقواعد التي أسس عليها الشيخ طريقته المشهورة في بلاد المغرب العربي الكبير وله أتباع كثيرون.

هذه الرسالة وهي عبارة عن كتيب متوسط الحجم يحتوي على منافع وأسرار كثيرة، وبحثت حقيقة عمن شرحه من العلماء أو المشايخ في التربية والسلوك في الحقيقة لم أجد، وفيه معان تحتاج إلى توضيح بل وفيها من الأسرار.

وظيفة الشيخ زروق

وظيفة الشيخ الغمام زروق رضي الله عنه، وهي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم " الله لا إله لإلا هو الحي القيوم " بسم الله الرحمن الرحيم، ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم" وعنت الوجوه للحي القيوم" الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يئوده حفظها وهو العلي العظيم" بسم الله الرحمن الرحيم " حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير " لله ما في السموات وما في الارض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدي، " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ..." إلخ السورة .

بسم الله الرحمن الرحيم" قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ... " إلى نهاية السورة مرة واحدة، " بسم الله الرحمن الرحيم "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" سورة النصر إلى آخرها مرة واحدة" بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد..." سورة الإخلاص إلى أخره ثلاث مرات مكررة البسملة" قل أعوذ برب الفلق ..." سورة الفلق إلى آخرها ثلاث مرات مكررة البسملة " قل أعوذ برب الناس .... إلى آخرها مكررة البسملة.

اللهم إني أنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم (ثلاثا) اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بكمن البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال(ثلاثا) اللهم إنني أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت (ثلاثا).

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعك ما استطعت ـ أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر إلا أنت (ثلاثا) اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر، فأتمم نعمتك علي وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة (ثلاثا)، اللهم إني أصبحت

منك في نعمة وعافية وستر، فأتمم نعمتك علي وعافيتك وسترك في الدنيا والاخرة (ثلاثا) اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر (ثلاثا) يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك (ثلاثا) رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا (ثلاثا).
سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته (ثلاثا) أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاثا) بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولافي السماء وهو السميع العليم (ثلاثا) أعوذ بالله السميع من الشيطان الرجيم (ثلاثا)" هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم " إلى آخر السورة مرة واحدة،
سبحان الله وبحمده(ثلاثا) تحصنت بذي العزة والجبروت، واعتصمت برب الملكوت، وتوكلت علي الحي الذي لا يموت، اصرف عنا الأذى إنك على كل شيء قدير، اصرف عنا الأذى إنك على كل شيء (ثلاثا) بسم الله الرحمن الرحيم "لإيلاف قريش..." سورة قريش إلى آخرها مرة واحدة) سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك (ثلاثا).
اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما (ثلاثا)، عدد ما أحاط به علمك، وخط به قلمك، وأحصاه كتابك والرضى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن لصحابة أجمعين وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين" سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" مرة واحدة.
لا إله إلا الله) (مائة مرة) محمد رسول الله (مائة مرة) أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (ثلاثا) ثبتنا يا رب بقولها (ثلاثا) وانفعنا يا رب بفضلها (ثلاثا) وانفعنا يا رب بفضلها (ثلاثا) واجعلنا من أخيارها (ثلاثا) آمين، آمين، آمين، يا رب العالمين (ثلاثا).
أصبحنا في حماك يا مولانا، أمسينا في رضاك يا مولاي (ثلاثا) آمين آمين، آمين يا رب العالمين (ثلاثا) لا إله إلا أنت وحدك ربنا، يا مجمعنا اغفر لنا ذنوبنا ثلاث آمين، آمين، آمين، يا رب العالمين (ثلاثا) اغفر لنا ما مضى وأصلح لنا ما بقي، بحرمة الابرار يا عالم الأسرار (ثلاثا) آمين آمين، آمين، يا رب العالمين (ثلاثا) يا عالم السر منا لا تكشف الستر عنا (ثلاثا) آمين، آمين، آمين، يا رب العالمين (ثلاثا) اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وبارك على محمد وعلى ءال محمد عشرا) آمين، آمين، آمين، يا رب العالمين (ثلاثا) وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (مرة واحدة).

المطلب الثاني: منهجه في التربية والسلوك وتصحيح الفكر الصوفي من خلال كتاب النصيحة الكافية

تميز منهج الشيخ بالتوجه الصوفي المعتدل بدأ اولا بالتوجه إلى الفقه، ثم بعد ذلك توجه التوجه الصوفي، وكان على الطريقة الشاذلية المنسوبة للإمام ابي الحسن الشاذلي تم لما رأى بعض الانحرافات التي حدثت له في التوجه الصوفي والخروج عن ميزان الكتاب والسنة في بعض المواضع.
قال الشيخ "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
قال: "الحمد لله على هذه النصيحة الكافية، لمن خصه الله بالعافية، ثم شرع في قوله " الحمد لله على منة الإسلام، والشكر لله على نعمة السمع والبصر والكلام، وأستغفر الله من جميع الآثام، والصلاة والتسليم على سيدنا مولانا محمد سيد الأنام وعلى آله وأصحابه الكرام أما بعد:
ذكر فيما يتعلق بالنصيحة وأنها من الدين وذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني وذكر حديث النصيحة حديث أوس بن تميم الداري.

الدين النصيحة

7 - عن أبي رقية تميم بن أوس الداري - رضي الله تعالى عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة"، قلنا: لمن؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم" رواه مسلم.
ثم شرع كعادة الفقهاء المالكية في كتابه بالطهارة قال ومن آفاتها الوسوسة واصل ذلك الجهل بالسنة على اعتبار لا تصح الصلاة إلا بها وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

قال ومن آفاتها الوسوسة وأصل ذلك هو الجهل بالسنة قال هي بين أمرين، (إما أن يكون هذا الموسوس يسرف في الماء أو جاهل بالسنة أو مختلا عقلا).
وخلاصة القول إن منهجه في كتابه هذا منهج إصلاحي للخلل الحاصل في زمانه في هذا المشرب الصالح.. إلخ.

المطلب الثالث: منهج الشيخ أحمد زروق في تصحيح الفكر الصوفي من خلال كتاب قواعد التصوف

وسبب تأليف الشيخ زروق ل" قواعد في التصوف[85]" هو اختياره لمنهج تصحيحي في الفكر الصوفي، اعتمد "الردّ على المبتدعة من المتصوفة الذين شاهدهم ورأى افتتان الناس بهم حيث قام بحصر بدعهم وعرفها وبيّن فاسدها كما بيّن في كتابه التصوف الصحيح وبيّن قواعده وردّها إلى الكتاب والسنة وسيرة الصوفيين الأوائل وبيّن أن الصوفي الحقيقي هو من يلتزم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويبتعد عن البدع واستشهد في ردوده بأقوال عدد من أهل التصوف أنفسهم، ومن بينهم الشيخ أبي القاسم النصر آبادي الذي قال: "أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع، وتعظيم المشايخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد، وترك الرخص والتأويلات. "
وهو بهذا النقد الذي قدّمه لكل من حادت نفسه عن اتباع الطريق الصحيح، وترك المنهج الرباني القائم على التحلية والتخلية بما يكفل للنفس المراجعة الصحيحة، يضع نفسه في مقدمة "الصوفية الفقهاء" أو "فقهاء الصوفية" الذي أكثروا من نقد الصوفية إلى جانب مدح طريقتهم لا من باب معاداتهم وإنّما من باب الإصلاح والتصحيح، فهو الذي حقّق المعنى المفهوم للتصوف وربطه بالفقه وأصول التوحيد تصحيحا للعقيدة والعمل، يقول :" التصوف علم قصد لإصلاح القلوب، وإفرادها لله تعالى عما سواه، والفقه لإصلاح العمل، وحفظ النظام، وظهور الحكمة بالأحكام والأصول "علم التوحيد" لتحقيق المقدمات بالبراهين، وتحلية الإيمان بالإيقان، كالطب لحفظ الأبدان، وكالنحو لإصلاح اللسان " .
فلا يصح التصوف عنده بلا فقه، لأن الفقه يكفي عن التصوف، ولا يكفي التصوف عن الفقه، وهي محاولة جديدة لم نلاحظها عند من سبقه من العلماء يؤكّدها في ال قاعدة26 قبلها بقوله:" كن فقيها صوفيا ولا تكن صوفيا فقيها" وقوله أيضا:" حكم الفقه عام في العموم لأن مقصده إقامة رسم الدين ورفع مناره وإظهار كلمته، وحكم التصوف خاص في الخصوص لأنه معاملة بين العبد وربّه، فمن ثمّ صح إنكار الفقيه على الصوفي ولا يصحّ إنكار الصوفي على الفقيه ولزم الرجوع من التصوف إلى الفقه والاكتفاء به دونه ولم يكف التصوف عن الفقه بل لا يصح دونه..."، حتى أنه ميّز بين تصوف ابن الحاج وغيره من أنواع التصوف الأخرى، وفي ذلك يقول في إحدى قواعده "تعدّد وجوه الحسن، يقضي بتعدد الاستحسان [وحصول الحسن لكل مستحسن]، فمن ثم كان لكل فريق طريق: فللعامي تصوف حوته كتب المحاسبي، ومن نحا نحوه، وللفقيه تصوف رحاه ابن الحاج في مدخله، وللمحدث تصوف حام حوله ابن العربي في سراجه، وللعابد تصوف دار عليه الغزالي في منهاجه، وللمتريض تصوف نبه عليه القشيري في رسالته، وللناسك تصوف حواه القوت والإحياء، وللحكيم تصوف أدخله الحاتمي في كتبه، وللمنطقي تصوف نحا إليه ابن سبعين في تآليفه، وللطبائعي تصوف جاء به البوني في أسراره. وللأصولي تصوف قام الشاذلي بتحقيقه، فليعتبر كل بأصله من محله.
مال الشيخ زروق في منهجه التصحيحي إلى تبيين معنى التصوف السنّي، فدعا إلى التوقف في إصدار أحكام على منظّري الفكر الفلسفي الصوفي كالشيخ ابن العربي وابن سبعين والعفيف التلمساني ومن نحا نحوهم، لأن تصوفهم في رأيه ينطوي على كثير من المبهمات والموهمات، ولا يصح أن يَقرأ كتب أولئك

---

[84] ماي2014 من مجلة قوت القلوب يصدرها مركز الإمام الجنيد-

[85] ترك شيخنا أحمد زروق، العديد من المؤلفات التي انتشرت في البلاد الإسلامية، وهي في فنون شتى، في العربية والحديث والحكمة والتصوف والفقه، وكان أشهرها كتبه في التصوف التي من أهمها (قواعد التصوف) و(أرجوزة في عيوب النفس) وشرحها المسمى (الأنس في شرح عيوب النفس)و(إعانة المتوجّه المسكين إلى طريق الفتح والتمكين) و(عدّة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت) والذي يعرف باسم آخر هو(النهي عن الحوادث والبدع) و(النصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنّة) (والنصيحة الكافية لمن خصّه الله بالعافية) وشروحه على الحكم العطائية.

الصوفية إلا عالم متمكن يعتبر المعنى ولا يتقيد باللفظ، ليستطيع فهم المعاني في محالها فلا تزيغ به أهواءه عن استيعاب ما سطّروه، أما العوام فيحسن أن يبتعدوا عن تلك الكتب خشية على عقائدهم.

يقول في قواعد التصوف:" التوقف في محل الاشتباه مطلوب كعدمه فيما يتبين وجهه من خير أو شر، ومبنى الطريق على ترجيح الظن الحسن عند موجبه وإن ظهر معارض، فمن ثم اختلف في جماعة من أهل التصوف، كابن الفارض، وابن أحلى، والعفيف التلمساني، وأبي اسحق التجيبي، والششتري، وابن سبعين، والحاتمي وغيرهم."

ويقول أيضا عن ابن العربي الحاتمي[86] :" أعرف بكل فن من أهل كل فن، ... اختلف فيه من الكفر إلى القطبانية، لأن في التكفير خطراً، وتعظيمه ربّما عاد على صاحبه بالضرر من جهة اتباع السامع لمبهماته وموهماته."

ويقول عن ابن سبعين[87]:" وفي أحزاب ابن سبعين كثير من المبهمات والموهمات، فوجب التجنب جملة كمحل الخطر، إلا لعالم يعتبر المعنى فلا يتقيد باللفظ فيه."

ويتبيّن موقف الشيخ زروق بوضوح أكثر من تصوّف الفلاسفة وما قد يفهم من كلامهم من الشبهات والأغلاط حين يقول: "حذر الناصحون من تلبيس ابن الجوزي، وفتوحات الحاتمي بل كل كتبه أو جلها، كابن سبعين، وابن الفارض، وابن حلا، وابن ذو سكين، والعفيف التلمساني، والأيكي العجمي، والأسود الأقطع، وأبي اسحق التجيبي، والششتري، ومواضع من الإحياء للغزالي، جلها في المهلكات منه، والنفخ والتسوية له، والمضنون به على غير أهله، ومعراج السالكين له، والمنقذ، ومواضع من قوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتب السهروردي ونحوهم، فلزم الحذر من مواطن الغلط، لا تجنب الجملة، أو معادة العلم، ولا يتمّ ذلك إلا بثلاث: قريحة صادقة، وفطرة سليمة، وأخذ ما بان وجهه وتسليم ما عداه، وإلا هلك الناظر فيه باعتراض على أهله، أو أخذ الشيء على غير وجه، فافهم. "

بل إن خلاصة منهجه يمكن فهمها بوضوح في القاعدة 216 من قواعد التصوف، حين نصّ على أن من دواعي الإنكار على المتصوّفة خمسة أمور" أولها: النظر لكمال طريقهم، فإذا تعلقوا برخصة، أو أتوا بإساءة أدب، أو تساهلوا في أمر، أو بدأ

منهم نقص، أسرع للإنكار عليهم، لأن النظيف يظهر فيه أقل عيب، ولا يخلو الإنسان من نقص ما لم تكن له من الله عصمة أو حفظ. الثاني: رقة المدرك ومنه وقع الطعن على علومهم في أحوالهم، إذ النفس مسرعة لإنكار ما لم يتقدم له علمه. الثالث: كثرة المبطلين في الدعاوي والطالبين للأغراض بالديانة، وذلك سبب إنكار حال من ظهر منهم بدعوى، وإن أقام عليها الدليل لاشتباهه. الرابع: خوف الضلال على العامة باتباع الباطن دون اعتناء بظاهر الشريعة كما اتفق لكثير من الجاهلين.

---

[86] ابن العَرَبي الحاتمي (560 - 638 هـ) محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية (بالأندلس) وانتقل إلى إشبيلية. وقام برحلة، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أريق دم الحلاج وأشباهه. وحبس، فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي (من أهل بجاية) فنجا.

واستقر في دمشق، فتوفي فيها. وهو، كما يقول الذهبي: قدوة القائلين بوحدة الوجود. له نحو أربعمائة كتاب ورسالة، منها (الفتوحات المكية - ط) عشر مجلدات، في التصوف وعلم النفس، و (محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار - ط) في الأدب، مجلدان، و (ديوان شعر - ط) أكثره في التصوف، و (فصوص الحكم - ط) و (مفاتيح الغيب - ط) و (التعريفات - ط) و (عنقاء مغرب - ط) تصوف، و (الاسرا إلى المقام الأسرى - خ) و (التوقيعات - خ) و (أيام الشان - خ) و (مشاهد الاسرار وغيرها انظر: الأعلام 6- 281.

[87] عبد الحق بن سَبْعِين(613 - 669 هـ)، عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين الإشبيلي المرسي الرّقوطي، قطب الدين أبو محمد: من زهّاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود. درس العربية والآداب في الأندلس، وانتقل إلى سبتة، وحج، واشتهر أمره. وصنف كتاب (الحروف الوضعية في الصور الفلكية) و (شرح كتاب إدريس عليه السلام الّذي وضعه في علم الحرف) ؟ وكتاب (البدو) وكتاب (اللهو) و (أسرار الحكمة المشرقية - خ) في دار الكتب، ورسالة (النصيحة - ط) وتسمى (النورية) نشرت في صحيفة المعهد المصري، بمدريد، أول المجلد الرابع، في 45 صفحة. ونشر حديثا في القاهرة كتاب (رسائل ابن سبعين - ط) وغير ذلك. وكفره كثير من الناس. له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية. قال ابن دقيق العيد: جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته. وقال الذهبي: اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعا بقوله لا نبيّ بعدي. وكان يقول في الله عزوجل: إنه حقيقة الموجودات. انظر الأعلام للزكلي 3- 280.

الخامس: شحّة النفوس بمراتبها، إذ ظهور الحقيقة مبطل لكل حقيقة، ومن ثم أولع الناس بالصوفية أكثر من غيرهم، وتسلط عليهم أصحاب المراتب أكثر من سواهم، وكل الوجوه المذكورة صاحبها مأجور أو معذور إلا الأخير، والله سبحانه أعلم."

ولم يكتف الشيخ زروق بالتنبيه على أهمية الاعتناء بمقاصد الشريعة وغاياتها والتخلف عن كل ما من شأنه أن يثير الشبهات حول منهج يعتقد صحّته وسلامته، بل نبّه أيضا إلى ضرورة نبذ التقليد في الاتباع والاستناد إلى الحقيقة ممن يوثق في دينه وعلمه، لأن "أخذ القول من غير استناد لعلامة في القائل، ولا وجه في المنقول، مذموم مطلقاً، لاستهزاء صاحبه بدينه"، مما ينفي عنه أهلية التصوف، لأن المؤهّل للتصوف- في نظر الشيخ زروق- تكون "لذي توجه صادق، أو عارف محقّق، أو محب مصدق، أو طالب منصف، أو عالم تقيده الحقائق أو فقيه تقيده الاتساعات، لا متحامل بالجهل، أو مستظهر بالدعوى، أو مجازف في النظر، أو عامي غبي، أو طالب معرض، أو مصمّم على تقليد أكابر من عرف في الجملة"، فالمتصوف الحقيقي هو الذي تقيّده ويسعى بنظره عن أن يقلّد دون استناد إلى حقيقة الزهد ومعرفة وتبين بطريقة القوم، سلوكا ومنهجا.

الشيخ رحمه الله تعالى فهم معنى التصوف وجال في فكره، فنحا فيه منحى تربويا علميا، ينبّه على البدع الظاهرة التي قد تخرج عن الإسلام، ويرى كغيره أن ما تعرّض له عدد من كبار المتصوفة سببه عدم رقيّ فهوم الناس إلى مداركهم ومفاهيمهم، ويستدل بمصادر الشريعة كثيرا، وعلى رأسها الكتاب والسنة أهم مصدر كان يستقي منها فكره، يعزز كثيراً من آرائه وأحكامه بشواهد عدة من كتاب الله وسنة نبيه وشواهد من أقوال الصحابة، وهو ما خوّل له المكانة التي جعلت منه فيما بعد محتسب الصوفية، وشدّت إليه الرحال من كل بقاع الأرض.

وبعد هذه الجولة في مفهوم ومعاني التصوف وحقيقة التسمية ومسار التحول، ثم بعد ذلك منهج الشيخ زروق في تصحيح الفهوم، يمكن أن نقول: أن الفكر الصوفي لم يكن تعطيلا لحركة الانتاج ولا لدواليب الحياة في مقابل الانزواء والتفرد بالعبادة، فلم يكن إعراضا عن الحياة بقدر ما كان إعراضا عن ما يوجب غضب الله في هذه الحياة، فالتصوف منهج ربّاني، سمت به نفوس صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتابعيهم وتابعي التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، فأدعياء التصوف لم يخل بهم مصر ولا عصر، ولم يؤثروا بحال من الأحوال على نقاء التصوف وصفائه من الشوائب والأفكار الدخيلة، لأن التصوف كان تصوفا سنّيا منذ بداياته بكل ما تحمله الكلمة من دلالات لاحتكامه إلى القرآن والسنّة، يقول أبو بكر الطمستاني(ت340ه) وهو من كبار شيوخ الطريقة: "الطريق واضح، والكتاب والسنة قائمة بين أظهرنا، فمن صحب الكتاب والسنة، وعزف عن نفسه والخلق والدنيا، وهاجر إلى الله بقلبه، فهو الصادق المصيب المتبع لآثار الصحابة، لأنهم سمّوا السابقين لمفارقتهم الآباء والأبناء المخالفين، وتركوا الأوطان والإخوان، وهاجروا وآثروا الغربة والهجرة على الدنيا والرخاء والسعة، وكانوا غرباء، فمن سلك مسلكهم واختار اختيارهم كان منهم ولهم تبعا "

خاتمة:

يزخر المغرب الأقصى بأولياء صالحين مباركين منذ الفتح الإسلامي إلى الآن ومن الذين اشتهروا فيها بزهدهم وكراماتهم وتأطيرهم ونفعهم للأمة المغربية سيدي أحمد بن العريف الطنجي ، والحافظ أبو علي الصدفي ، وسيدي دراس بن إسماعيل الفاسي (ت357) ، وسيدي بو غالب القصري ،وسيدي عبد الجليل القصري، و سيدي أبي شعيب الدكالي ت 561هـ صاحب أزمور، وسيدي علي بن إسماعيل بن حرزهم ت 559هـ، ومولاي أبو يعزى (بوعزة) أعجوبة القرن السادس ت 572هـ، وسيدي أبو مدين الغوث ت 594 هـ، والشيخ مولاي عبد السلام بن بشيش صاحب جبل العلم، الملقب بقطب المغرب الأقصى،- ت، (559- 626) وأبو الحسن الشاذلي ت، (593- 656هـ) وسيدي بوسلهام المصري المغربي، وسيدي أبو مدين الغوث، وسيدي أبي عبد الله الدقاق، وسيدي ابو العباس السبتي،، وسيدي الحاج موسى بن مشيش، وسيدي أبو محمد صالح الماجري، وسيدي أحمد بن عاشر الأندلسي السلاوي ، وغيرهم كثير نفعنا الله ببركاتهم آمين .

عرفت في هذا المبحث بالتصوف والصوفي والولي والكرامات لما لهما من أهمية في البحث وتعتبر مدخلا مهما لأن التصوف هو روح الاسلام وهو سر الدين ولبه وهو الذي كان عليه الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم، فهم يسعون في التحقق بمقام الاحسان الذي هو سر الاخلاص ويعملون للوصول إلى مقام المراقبة ثم المشاهدة المعبر عنها بحديث الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه").

- واقع الشيخ أحمد زروق تميز بأمرين اثنين:

أولا: من الناحية العلمية:
حركة فكرية مشعة في أغلب أقطار المغرب العربي.
ثانيا: من الناحية السياسية: والاجتماعية:
اضطرابات وتوترات على الصعيد الداخلي صراع من أجل الحكم على الصعيد الخارجي صراع مع النصارى، مما كان سببا في انحطاط الجانب الاقتصادي والاجتماعي.
ثالثا: من جهة حياة الشيخ فتتلخص في أمرين أساسيين:
أولا: من جهة النشأة: تربى في بيت علم ودين (في أحضان جدته وأخواله.
ثانيا: بعد البلوغ توجه إلى العلم والرحلة والجد والاجتهاد، فان نتيجة ذلك التعليم، والتأليف، والاشتهار بالعلم والدين.

- أن للشيخ أحمد زروق منهجيه دقيقة في بعض مؤلفاته ومن كلامه في السلوك وطريقته في سلوك ذلك وأيضا كلامه على كتب القوم الصوفية وكلامه على تصوف كل فرقة من الناس وشطحاته كما أشرت إلى نماذج من خلال بعض تآليفه في العقيدة.
- والشيخ تطرق إلى المسائل العقدية وتكلم على كل أبواب الاعتقاد، الإلهيات، النبوات، السمعيات. وقد أشرت إلى الإلهيات وبعض مسائل الاعتقاد في هذا البحث في مبحث منهجه في التأليف.
- وللشيخ طريقته ووظيفته التي هي عبارة عن آيات قرءانية وأحاديث نبوية شريفة كان يلقنها لمريديه من العوام وجميع فئات المجتمع وقد لقيت قبولا من طرف الساكنة والآخذين عنه وأتباعه ومنها استمد الشيخ سيدي رحال الكوش حزبه ووظيفته.
- وللشيخ أحمد زروق البرنسي منهج في تصحيح الفكر الصوفي من خلال كتاب قواعد التصوف ومن خلاله صحح الكثير من المفاهيم في التصوف كما مر.

هذا فما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم.

المراجع

1. المصحف الشريف المحمدي مؤسسة محمد السادس
2. أحمد زروق والزروقية علي فهمي خشيم دار المداد الإسلامي ط 1 - 2002م.
3. آداب البحث والمناظرة: محمد الامين الشنقيطي دار عالم الفوائد، مكة المكرمة السعودية "2 1433هـ.
4. الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصا، أحمد الناصري، ت، جعفر الناصري، دار الكتاب، المغرب ط، 1959
5. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1، 1415هـ،
6. الأعلام للزركلي دار العلم للملايين بيروت لبنان.
7. تاريخ بغداد، الحافظ أحمد بن علي البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان
8. التعريفات للجرجاني دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1،1403.
9. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ط 1387 هـ،
10. جامع القرويين عبد الهادي التازي دار الكتاب اللبناني ط 1،1973م
11. جذوة الاقتباس لأحمد بن محمد المعروف بابن القاضي دار المنصورية الرباط المغرب ط 1973م.
12. دوحة الناشر، لمحمد بن عسكر ت، محمد حجي الرباط المغرب ط 1977م
13. ذكريات مشاهير المغرب رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، عبد الله كنون، دار ابن حزم، بيروت لبنان. ط 1، 1430 هـ،
14. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء للإمام محمد بن جعفر الكتاني طبعة فاس المغرب ط 1435 هـ،
15. سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ط 1،1405 -1984م.

16. شجرة انور الزكية لمحمد مخلوف القاهرة مصر 1349 هـ،
17. نيل الابتهاج لأحمد بابا التبكتي منشورات كلية الدعوة الإسلامية ط 1، 1398هـ،
18. وصف إفريقيا: ليون الإفريقي، ترجمة محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط2، 1983م.
19. نهاية الأندلس، لمحمد عبد الله عنان مطبعة لجنو التأليف والترجمة والنشر مصر ط 2، 1386- 1966م.